

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ رنين الفزع ..

تقلّبت (سونيا جراهام) فى فراشها الوثير ، فى حجرة منزلها الفاخر ، المطلّ على (الشانزليزيه) ، أشهر أحياء (باريس) ، مدينة النور والفن والجمال ، حيث تقيم منذ أكثر من ثلاثة أشهر ، تحت اسم (برجيت فرانسوا) ، بعد أن لفظها (الموساد) من صفوفه ، وهمهمت بكلمات ناعسة ، غير مفهومة ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ناعمة ، وهى تحلُم بتفاصيل ما حدث لها ، منذ انتقالها للعيش فى العاصمة الفرنسية ..

لقد التقت فى (باريس) بزميلتها السابقة (جوزفين مونييه) ، التى كانت تعمل مديرة للعلاقات العامة ، فى شركة دعاية كبرى ، تملكها المليونيرة المغامرة الحسناء (كلوديا موريس) ، وترتبط بعلاقة قوية بـ (مارسيل بيكر) ، ملك العصابات فى (فرنسا) ، ولقد أعاد هذا اللقاء لكل منهما أوجاع الطرد من (الموساد) ، واتحد عقلاهما ، واتفقا على خطّة شيطانية ، يمكنهما بواسطتها إقناع (الموساد) بإعادتهما إلى صفوفه ..

وعن طريق (جوزفين) ، التقت (سونيا) بـ (كلوديا موريس) ، وأشعلت فى أعماقها روح المغامرة ، والإثارة ، ولعبت (جوزفين) بدوْرها على عقل وقلب (مارسيل بيكر) ، ثم لم تلبث الخُطّة الشيطانية المُحْكَمة أن أسفرت عن مولد منظمة خاصّة للجاسوسية العالمية ، تحت اسم (ملائكة السّلام) ، بزعمها الأربعة ، وبدأت المنظمة عملها بعملية قوية ، نجحت (جوزفين) خلالها فى الحصول على تصميمات حربية سرّيّة سوفيتية ، تمّ نشرُ تفاصيلها فى الصفحة الأولى فى جريدة (لوموند) ، أشهر الصحف الفرنسية ، وكان هذا بمثابة إعلان لمولد المنظمة الجديدة ..

ثم ظهر (أدهم صبرى) على شاشة الأحداث ..

وبدأ الصراع ..

بدأ والمنظمة تعدّ عُدتها للقيام بعمليتها الثانية فى (مصر) ..

وكان ظهور (أدهم صبرى) و (منى توفيق) إيذانًا بفتح أبواب الجحيم ، ولكن رباعى (ملائكة الجحيم) نجح فى أسر (أدهم) و (منى) ، وألقاهما (مارسيل) فريسة لأسد إفريقى ضخم ، يطلق عليه اسم (نابليون) و .....(*) .

(*) راجع الجزء الأول (ملائكة الجحيم) .. المغامرة رقم (٦١) .

تبخّرت أحلامها فجأة ، وانتفض جسدها فى انزعاج ، حينما ارتفع رنين الهاتف المجاور لفراشها ، فتأوّهت فى امتعاض واعتراض ، والتقطت سمّاعة الهاتف ، وهى تقول فى تكاسل ، وبصوت لم يفارقه النّعاس بعد :

ـ من المتحدّث ؟

جاءها صوت تعرفه جيّدًا .

صوت (مارسيل بيكر) ، ملك العصابات ، وهو يقول فى حزم واقتضاب :

ـ لقد لقيت (جوزفين) مصرعها .

تبخّر النعاس فجأة من عينيها ، وسرت فى جسدها رعدة مفزعة ، وهى تهبُّ جالسة ، وتصرخ فى مزيج من الذّهول والذّعر :

ـ ماذا ؟! .. متى حدث هذا ؟ .. وكيف ؟ .. لقد تركتها منذ ساعات قليلة فى مطار (أورلى) ، وكانت فى تمام الصحّة و .....

قاطعها (مارسيل) بنفس الصوت الحازم ، واللهجة المقتضبة :

ـ لقد قتلها (أدهم صبرى) .

تجمدت الدماء فى عروقها ، وجحظت عيناها حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وخُيّل إليها أنها لم تستيقظ من حلمها بعد ، أو أنه قد تحوّل بغتة إلى كابوس ثقيل بغيض ، مَقيت بَشع ، يثقل على صدرها ، ويكاد يُزهق روحها ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، حتى أنها عجزت عن التفوّه بحرف واحد ، مما دفع (مارسيل) إلى أن يهتف فى قلق :

— (برجيت) .. هل تسمعيننى ؟!

أرادت أن تجيبه ، ولكن لسانها بدا كقطعة من الجليد فى حلقها ، وأخذ عقلها يصرخ فى أعماقها .

أى نوع من الرجال (أدهم صبرى) هذا ؟..

بل أى نوع من الشياطين ؟..

كيف يمكن لرجل أعزل ، مقيد اليدين أن يهزم أسدًا إفريقيًا شرسًا ؟..

إنه كابوس ..

إنها لم تستيقظ بعد .

سيتلاشى كل شىء عندما تستيقظ .

ولكن (مارسيل) عاد يهتف ، وقد تضاعف قلقه ، واختلط بتوتره :

— برجيت .. هل حدث شىء ما ؟.. أما زلت تسمعيننى يا (برجيت) .

كان هتافه يكفى لأن توقن بأنها لا تحيا كابوسًا بشعًا ، وأنه عليها أن تجيب ، فاستجمعت كل ما تبقى فى أنفاسها من روح ، لتقول فى صوت متحشرج ، مُختنق :

— ومتى حدث هذا ؟

أجابها وقد عاد إليه اطمئنانه :

— يبدو أنه قد حدث بعد عودتها من المطار مباشرةً ، فقد عثرت على جثتها فى السابعة ، وأخبرنى (شيفاليه) أن (أدهم صبرى) هو الذى قتلها ، فأطلقت كل رجالى خلفه ، ووزّعت عليهم نشرة بأوصافه .. إنه لن يغادر (باريس) حيًّا يا (برجيت) .

هتفت (سونيا) ، وقد امتلأت عروقها بغضب لا حصر له :

— هذا لا يكفى يا (مارسيل) .. إن هذا الرجل شيطان .. إنه يجيد التنكُّر حتى يمكنه أن ينتحل شخصيتك ، دون أن تشك أمك نفسها فى ذلك .. إننى أحمل صورة له ، أرسل من يأخذها ، واطبع منها مئات النسخ ، ليحمل كل رجل من رجالك صورته .

أجابها بلهجته الحازمة المقتضبة :

— سأفعل .

ثم أنهى المكالمة دون أن يضيف حرفًا واحدًا ، وبقيت هي لحظة تضع السمّاعة على أذنها ، ذاهلة مشدوهة ، قبل أن تعيدها فى بطء إلى موضعها ، وتلتقط واحدة من سجائرها ، لتدسّها بين شفتيها ، وتشعلها بقداحتها فى شرود ، ولكنها لم تكد تنفث دُخانها حتى عاودها غضبها وسخطها ، فنهضت تتحرّك فى أرجاء حجرتها فى عصبية ، وهي تغمغم فى حنق :

— أمّا من نهاية لـ (أدهم صبرى) هذا ؟.. أمّا من وسيلة للتخلّص منه والقضاء عليه ؟..

من أى معدِنٍ صُنِعَ هذا الرجل ؟

وتوقّفت فجأة حينما قفز إلى ذهنها خاطر مخيف ، ووجدت نفسها تهتف فى قلق :

— يا للشيطان !!.. لقد أصبح (أدهم صبرى) طليقًا ، ويمكنه أن يبلغ دولته بما توصّل إليه من أمر منظمتنا ... إنه سيفسد عمليتنا فى (مصر) ، وسيوقع بـ (كلوديا) .

وعادت تتحرّك فى مزيد من العصبيّة والتوتّر ، وهى تردف :

— ولكن هل يعلم أن عمليتنا الحالية فى وطنه بالذات ؟..

هل أخبرته (جوزفين) بشىء ما ، قبل أن تلقى مصرعها ؟

انتابتها الهواجس ، فبدأ صوتها يرتجف على شفتيها ، وهى تستطرد :

— لقد أصبح من المستحيل أن تلغى عملية (مصر) الآن .. لقد دارت العجلة ، ولا يمكن إيقافها أبدًا .. لابدّ من العثور على (أدهم صبرى) ، حتى تصبح العملية مأمونة .

ونفثت دُخان سيجارتها ، قبل أن تهتف فى سخط وكراهية :

— ولكن أين هو الآن ؟.. أين (أدهم صبرى) ؟

ولم تكن تدرى أنه فى هذه اللحظة بالذات ، كان (أدهم صبرى) يرقد فى أعماق نهر (السّين) .

* * *



٢ ــ صراع فى الأعماق ..

لم يكد ذلك التابوت الخشبيّ يرتطم بسطح نهر (السّين) ، ويغوص بحمله فى مياهه الباردة ، حتى استعاد ذهن (أدهم صبرى) ، فى لحظة واحدة ، كل ما مرّ به من أحداث ، منذ وصوله إلى (باريس) لمطاردة (ملائكة الجحيم) ، واقتحامه مع (منى) منزل (سونيا جراهام) الفاخر ، ووقوعهما فى الفخ المتقن ، الذى أعدّه لهما (مارسيل بيكر) ..

تذكّر كيف تركهما (مارسيل) مقيّدين ، فريسة لأسده الأفريقى الجائع ، الذى يطلق عليه اسم (نابليون) .. وكيف نجح هو فى قتل الأسد ، بعد صراع مخيف .. وكيف ظفر مع (منى) بالفرار من وكر (مارسيل) .. وكيف استطاعا مفاجأة (جوزفين) فى منزلها منذ ساعات ، حيث اشتبكا معها ومع حارسها الخاصّ (شيفاليه) فى قتال ، حسمه ذلك الظهور المفاجئ لـ (سيرجى كوريوف) ، رجل المخابرات السوفيتية الشرس ، الذى يطلقون عليه اسم (الكوبرا) ، والذى

نجح ــ بواسطة رجاله ــ فى السيطرة على الموقف ، وإلقاء القبض عليه وعلى (منى) ..

ومنذ لحظات احتفظ (سيرجى) بـ (منى) ، فى محاولة لإجبارها على الإدلاء بكل ما لديها ، باستخدامه وسائله المخيفة القاسية ، ووضع رجاله (أدهم) ، مقيّد اليدين والقدمين ، فى ذلك التابوت الخشبيّ ، الذى أضافوا إليه ثقلين فولاذيّين ، أحدهما عند رأسه ، والآخر عند قدميه ، وثبّتوا غطاءه بمسامير قويّة ، ثم ألقوه فى نهر (السّين)(*) ..

استعاد عقل (أدهم) كل هذه التفاصيل فى لحظة واحدة ، والتابوت يغوص به فى مياه (السّين) الباردة ، التى بدأت تتسلّل إلى داخل التابوت ، حتى استقرّ فى قرار النهر ..

وبدأ عقل (أدهم) يعمل فى سرعة خرافيّة كعادته ..

كانت السرعة ، التى تتسلّل بها المياه إلى التابوت ، تؤكّد أنه لن يمتلئ بها قبل عشر دقائق على الأقل ، ولكن كمية الهواء داخله لن تكفى (أدهم) لأكثر من خمس دقائق ، لذا فعليه أن يعمل بأقصى سرعة ، ويدّخر أنفاسه فى الوقت ذاته ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع قصة (ملائكة الجحيم) .. المغامرة رقم (٦١) .

وبسرعة ، ودون أن يضيع لحظة واحدة ، بدأ (أدهم) يعمل على حل قيود معصميْه ..

كان من حسن حظّه أن أعداءه لا يعلمون أنه يتدرّب على التخلّص من القيود ، منذ كان فى السادسة من عمره ، وأنه قد بلغ فى هذا المضمار شأنًا ، لم يبلغه قبله سوى الساحر الشهير (هارى هوديني) ، الذى أذهل العالم بقدرته تلك ، فى النصف الأوّل من القرن العشرين .. فكان كل منهم يحكم قيود (أدهم) ، وهو لا يتصوّر أنه قادر على التخلّص منها ، مهما بلغ إحكامها ..

وبعد ثلاث دقائق بالضبط ، كان (أدهم) قد نجح فى حلّ قيود معصميْه ، وكان الماء قد ارتفع حتى غطّى أذنيه ، وهو فى ذلك الوضع الراقد على ظهره ..

وفى مرونة مدهشة ، ثنى (أدهم) ذراعيه ، والتقط الثقل المعدنى ، المستقر تحت رأسه ، وأحاله جانبًا ، ثم دفعه لينزلق عبْر التابوت الخشبيّ ، حتى لحق بزميله الراقد عند قدميه ..

وهكذا أخلّ بتوازن الثقل داخل التابوت ، وقامت تيارات الدفع المائية بالباقى ، فارتفع النصف العلوى من التابوت ، بعد أن خفّ وزنه ، وانتقل إليه الهواء الباقى ،

فأصبح التابوت فى وضع قائم ، وأصبح (أدهم) واقفًا على قدميه ، وليس راقدا على ظهره ..

وكان يفضّل هذا الوضع ..

وأخذ الماء يرتفع داخل التابوت ، حتى وصل إلى صدر (أدهم) ، وهو صامت ساكن ، لا يقدم على أيّة خطوة ، مكتفيًا بحبس أنفاسه ، وادخار الهواء الباقى له بأقصى قدر ممكن ، فقد كان يعلم أن أيّة محاولة لدفع غطاء التابوت غير مجدية ..

لم تكن تلك المسامير القويّة ، التى ثُبّت بها الغطاء ، هى التى تجعل ذلك غير مجدٍ ، ولكنه فارق الضغط بين داخل التابوت وخارجه ، والذى يجعل ضغط الماء يضيف إلى ثقل الغطاء أطنانًا تعجز حتى عضلات (أدهم) الفولاذية عن دفعها ..

وحينما وصل الماء إلى ذقنه ، وهو يواصل ارتفاعه فى سرعة ، التقط (أدهم) كل ما بقى من الهواء ، وأودعه فى صدره ، ثم حبس أنفاسه فى قوّة ، وانتظر حتى امتلأ التابوت تمامًا بالماء ..

هنا فقط تعادل ضغط الهواء بين داخل التابوت ، وخارجه ..



انفتح غطاء التابوت ، وانزلق (أدهم) عبْر الفتحة إلى الخارج ..

وبكل مايملك من قوة ، دفع (أدهم) ظهره فى قرار التابوت ، ودفع قدميه فى غطائه ، وشعر بثقل هائل على صدره ، وعنقه ، وأذنيه ، ولكن المسامير القوية لانت أمام قوته ، وبدأت تغادر تجاويفها ..

وبدفعة أخيرة ، تحمل كل قوة ، وعناد ، وإصرار ، وصلابة (أدهم صبرى) ، انفتح غطاء التابوت ، وانزلق (أدهم) عبْر الفتحة إلى الخارج ، وتجاهل حلّ وثاق قدميه ، وهو يجاهد للصعود إلى السطح والتقاط بعض الهواء ، الذى تلهث من أجله خلاياه ..

كان صراعًا ضد الموت ، فى أعماق نهر (السِّين) ..

* * *

نفث أحد رجلى المخابرات السوفيتية دُخان السيجارة الأمريكية ، التى يحملها بين شفتيه ، فى تلذُّذ ، والتفت إلى زميله ، الذى يجلس صامتًا فى ركن المخزن القديم ، المطلّ على نهر (السين) ، وقال فى نشوة :

ـــ كم أميل إلى تلك المهام ، التى تجعلنا ننتقل إلى الخارج ، يا (كلاينكوف) ، إننا ندخن سجائر أمريكية ، ونرتدى ثيابًا أنيقة ، وتنتظرنا سيَّارة فاخرة .. من المستحيل أن يحصل المرء على كل هذا الترف فى (موسكو) .

عقد (كلاينكوف) حاجبيه فى صرامة ، وحدج زميله بنظرة نارية ، وهو يقول :

ـ حذارِ يا (نيكولاى) .. إنك تشير بقولك هذا إلى أنك تميل للأوساط الرأسمالية المتعجرفة ، وترفض سياسة دولتنا الرشيدة ، التى تعمل من أجل الإخاء والمساواة .

شحب وجه (نيكولاى) ، وأراد أن ينفث دُخان السيجارة الذى يملأ صدره ، ولكن توتُّره حوّل ذلك إلى نوبة من السُّعال الحادّ ، جعلت وجهه يحتقن فى شدّة ، قبل أن ترتسم عليه ابتسامة باهتة مرتبكة ، وهو يقول :

ـ إننى لا أميل لذلك الترف الرأسمالىّ بالطبع أيها الرفيق ، ولكن التغيير ضرورىّ فى بعض الأحيان .. أليس كذلك ؟

عاد (كلاينكوف) يَخدِجه بنفس النظرة الناريّة ، قبل أن يُشيح بوجهه فى صمت قاسٍ ، مما حوّل طعم السيجارة بين شفتى (نيكولاى) ، إلى مذاق أقرب إلى السُّمّ الزُّعاف ، فبصق فى حَنَق ، وألقى سيجارته الأمريكية ، وأطفأها بقدمه فى عصبيّة ، ثم استدار ليعود إلى ركن المخزن ، وهو يلعن زميله ، ويسبّه سرًا ..

وفجأة .. تحطَّم باب المخزن ، وانقضَّت صاعقة .. صاعقة تحمل اسم (أدهم صبرى) ..

* * *

كانت انقضاضة (أدهم) مباغتة قويّة ، حتى أن (نيكولاى) تسمّر فى موقعه ، وترك فكّه السفلىّ يسقط على نحو أقرب إلى البلاهة ، وعينيه تجحظان حتى بدتا أقرب لعينى ضفدع مصاب بعُسْر هضم شديد ، وخُيّل إليه أنه يرى شبحًا عاد من أعماق النهر ، لينتقم من قاتليه ، ويذهب بهم إلى جحيم الأشرار ..

وقبل أن ينطق (نيكولاى) بلفظ واحد ، أو حتى يصرخ فزعًا ودهشة ، هوت لكمة (أدهم) الفولاذية على فكّه ، وأجبرته على ابتلاع اثنتين من أسنانه ، قبل أن تهشّم الأخرى أنفه ، وتحوّله إلى كُومَة من اللحم المفرىّ ..

وقفز (كلاينكوف) واقفًا ، واختطف مدفعه الرشّاش ، يصوّبه نحو (أدهم) فى صرامة وشراسة ، ولكن قدم (أدهم) أطاحت بالمدفع الرّشاش بركلة قويّة ، ثم قفزت قبضتاه لتتشبثا بسترة (كلاينكوف) الجلديّة ، وتجذبانه إليه ، حيث استقبلته ركبته فى معدته ، ثم أفلتتا ؛ لتهويا على فكّه فى قبضتين متلاحقتين ..

وترنّح (كلاينكوف) ، وحاول أن يقاوم الغثيان والسقوط ، ولكن لكمة ساحقة من قبضة (أدهم) اليمنى أصابت أنفه ، فحسمت أمره ، وتمدّد أرضًا فاقد الوعي ..

ودارت عينا (أدهم) في المكان في سرعة وتوتُّر ، وانتابه القلق والحنق ، حينما لم يجد أثرًا لـ (سيرجي) ، أو (منى) ، فاستدار ينتزع (نيكولاي) من الأرض ، ويجبره على الوقوف في قوة ، وتحوّل صوته إلى بركان ينفث الصرامة والغضب ، ويجمّد الدم في العروق ، وهو يسأل الرجل بالروسيّة :

— أين ذهب (سيرجي) وأسيرته ؟

ارتجف جسد (نيكولاي) ، وهو يحاول إزاحة الدّم عن أنفه وفمه ، ويغمغم في مزيج من الألم والرُّعب والذُّهول :

— لقد ذهبا .. لن يمكنك استعادة رفيقتك .. لقد ذهبا .

صرخ به (أدهم) في صرامة مخيفة :

— أين هما ؟

كاد (نيكولاي) يبكي ، وهو يقول :

— لقد اصطحبها معه .. لا أحد يمكنه إيقاف ما سيحدث .

جذبه (أدهم) إليه في قوة ، وخيّل لـ (نيكولاي) أن

عيني (أدهم) قد تحوّلتا إلى كتلتين من الحُمَم الملتهبة ، وأن صوته قد صار حادًّا ، كخنجر مسموم ، وهو يقول في اقتضاب :

— أين ؟

كانت القواعد التي تلقّاها (نيكولاي) من مخابرات دولته ، تحتّم عليه أن يصمد ويقاوم تلك المحاولة ، لانتزاع المعلومات من بين شفتيه ، ولقد أراد أن يطبّق تلك القواعد بالفعل ، ولكنه وجد نفسه يقول في ذُعر :

— إنها في سفارتنا .. سيحملها إلى (موسكو) في حقيبة ديبلوماسية ، حتى يمكنهم استجوابها هناك .

اتسعت عينا (أدهم) جزعًا ، وهو يهتف :

— إلى (موسكو) ؟!

وبكل ما يحتمل في نفسه من غضب وثورة ، هوى على فك (نيكولاي) بلكمة ، أرسلته إلى عالم من اللاوعي الكامل ..

وانطلق (أدهم صبري) ..

انطلق (رجل المستحيل) ..

* * *

٣ ـ الجحيم الأحمر ..

تطلّع الملحق العسكرىّ للسفارة السوفيتية فى (باريس) ، فى وجه (سيرجى كوريوف) فى برود ، وهو يقول :

ـ إنك تطلب عملًا ينطوى على مخاطرة جسيمة أيها الرفيق (سيرجى) .. هل هناك أوامر مباشرة من (موسكو) ، لنقل هذه الفتاة إليها ، فى حقيبة دبلوماسية ؟

مطّ (سيرجى) شفتيه ، وعبّأ الحجرة بدخان سيجارته السوفيتية ، ذات الرائحة النفّاذة ، قبل أن يقول فى برود :

ـ الأوامر المباشرة تقضى بإتمام مهمّة كُلّفتها ، ومن صميم عملى أن أفعل ما أراه مناسبًا ، ما دمت لم أتجاوز حدود مهمّتى .

عقد الملحق العسكرىّ حاجبيه ، وهو يقول فى حِدّة :

ـ وهل لى أن أعرف طبيعة هذه المهمّة ؟

أجابه (سيرجى) فى اقتضاب ، يحمل كلّ البرود والصّرامة :

ـ كلّا .

دقّ الملحق العسكرىّ سطح مكتبه بقبضته ، وهو يقول فى غضب :

ـ ليس من حقك إذن أن تطالبنى بعمل بالغ الخطورة كهذا ، قد يؤدّى إلى مشكلات دبلوماسية لا حصر لها مع الحكومة الفرنسية ، دون أن أعلم مدى أهميته لدولتنا .

نهض (سيرجى) فى هدوء ، وأطفأ سيجارته فى وقاحة ، على سطح مكتب الملحق العسكرىّ ، ثم اعتمد براحتيه على سطح المكتب ، ومال بجسده ؛ ليحدّق فى عينى الملحق العسكرىّ مباشرةً ، وهو يقول فى مزيج من البرود والصرامة :

ـ أوّلًا : هذه الفتاة من المخابرات المصريّة ، وليست فرنسيّة ، وشحنها من هنا ، سواء فى حقيبة دبلوماسيّة ، أو داخل صندوق مزدان بالزّهور الجنائزية ، لن يسفر عن أيّة مشكلات دبلوماسيّة ، مع الحكومة الفرنسيّة ..

ثانيًا : وهو الأهم ، ليس من حقك أن تسأل أحد ضباط الـ (كى. جى. بى.) عن مهمّته ، مهما كانت مطالبه أو أوامره .

وضغط حروف كلمة (أوامره) ، وكأنما يؤكّد سطوته وقوّته ، وسيطرته التامّة على الموقف ، ثم عاد يشعل سيجارة أخرى ، نفث دخانها فى وجه الملحق العسكرىّ ، قبل أن يعود ليجلس على مقعده ، قائلًا فى برود شديد :

— والآن .. متى يتم إعداد الحقيبة الدبلوماسيّة ، التى تسع فتاة متوسطة الحجم ، تحت تأثير مخدّر قوىّ ؟

احتقن وجه الملحق العسكرى ، وخامرته الرغبة فى أن يصرخ فى وجه (سيرجى كوربوف) ، ويبادر بطرده خارج مكتبه ، إلّا أن المرآة المواجهة له ، عبْر الغرفة الواسعة ، عكست صورة العلم الأحمر الضخم ، الذى يملأ الحائط خلفه ، والذى بدا له كجحيم ، يحُول بينه وبين ما يرغب فى عمله ، والذى أقنعه بأنه إنما يحتمل أسلوب (سيرجى) الفظّ الوقح ، من أجل صالح دولته ، التى لا يتردّد فى بذل حياته من أجلها ، فأجاب فى صوت مُختنق ، مُحتقِن :

— بعد ساعة واحدة .

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتى (سيرجى كوربوف) ، وهو يستند برأسه إلى ظهر مقعده ، ويرخى جفنيه ، قائلاً فى برود :

— سأنتظر ..

* * *

انطلق (أدهم) بتلك السيّارة الفرنسيّة الأنيقة ، التى كانت تنتظر رجل المخابرات السوفيتية ، خارج المخزن ، يشقّ

شوارع (باريس) ، فى طريقه إلى مبنى السفارة السوفيتية ، وقد ارتسمت صرامة العالم كله فى ملامحه ..

كانت خصلات شعره المبلّلة ما زالت تلتصق بجبينه ، وكان هواء (باريس) البارد يحوّل ثيابه الرطبة إلى غلاف من الثلج ، يحيط بجسده ، ولم يكن يعلم أن (مارسيل بيكر) قد أطلق خلفه كل رجل عصابات فى (فرنسا) كلها ، بمهمة واحدة .. هى قتله ..

وحتى لو علم ، لم يكن (أدهم صبرى) ليبالى بكل هذه العوامل مجتمعه ..

لقد كان ينطلق لهدف واحد ، لا تستطيع قوة فى الأرض أن توقفه عن المضىّ إليه ..

إنقاذ (منى) ..

كان يعلم جيّدًا ما يعْنيه إرسالها إلى (موسكو) ، واستجوابها هناك ..

وما كان ليسمح بذلك ، ما دام فى جسده عرق واحد ينبض بالحياة ..

ومن العجيب أنه قد قطع طريقه كله ، دون أن يلمحه رجل واحد من رجال (مارسيل) ، حتى وصل إلى السفارة السوفيتية ، فى ذلك الحىّ الهادئ من أحياء (باريس) .

وأوقف (أدهم) سيارته إلى جوار السفارة ، وجلس داخلها يفكّر فى عمق ، ويَدْرُسُ الموقف فى رويّة وإحكام ..

كان المكان يسبح فى ضوء النهار ، فى تلك الساعات الأولى من الصباح ، وكان هناك أكثر من خمسة حرّاس مسلحين يحرسون السفارة ، والاقتحام بالقوّة لن يسفر إلّا عن معركة عنيفة ، قد يذهب ضحيتها ، فتفقد (منى) الأمل الوحيد فى النجاة ، والتسلّل خِفْيَةً أيضًا لن يَصْلُحَ ، مع ضوء النهار الفاضح ..

ليس أمامه إذن سوى أن يلجأ إلى الحيلة ..

حيلة بالغة الجُرْأة والتهوُّر ، إلى الحد الذى يُذهِل خصومه ، ويُربكهم ، ويمنحه الفرصة للنجاح ، وتحقيق مآربه ..

وفى هدوء .. صفّف (أدهم) شعره بأصابعه ، وأعاد الخصلات الملتصقة بجبينه إلى موضعها ، ثم تحسّس ثيابه ، ليجد أنها قد قاربت الجفاف ، ثم أدار محرّك سيارته ، واتجه بها فى هدوء إلى بوّابة السّفارة ، وقال لحارسها فى فرنسيّة ، تحمل اللكنة الروسيّة :

— أريد مقابلة الرفيق (سيرجى كوربوف) للضرورة القصوى .. أخبره أننى أحد الرجلين ، اللذين تركهما فى المخزن القديم ، وأن الأمرَ عاجلٌ وبالغ الخُطورة .

* * *

« عاجل ، وبالغ الخطورة ؟! » ..

هكذا هتف (سيرجى) ، حينما أبلغه الحارس بالأمر ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه مفكرًا ، قبل أن يسأل الحارس :

— ألم يخبرك عن اسمه ؟

أجابه الحارس فى هدوء :

— هذا كل ما أخبرنى به يا سيّدى .

عاد (سيرجى) يعقد حاجبيه مفكرًا، قبل أن يسأله مرّة أخرى:

— ما نوع السيّارة التى أتى بها ؟

أجاب الحارس :

— (سيتروين) حمراء ، ذات سقف أسود .

غمغم (سيرجى) فى خبرة :

— نعم .. إنها سيارتهما .. ولكن ما الأمر العاجل ، البالغ الخطورة ، الذى جعلهما يخاطران بمخالفة كل الأوامر ، وشروط السرّيّة ، وإرسال أحدهما إلى هنا ؟

كان الأمر يبدو له عجيبًا ، مثيرًا للقلق ، وإن لم تخامره ذرّة واحدة من الشك ، فى أن القادم هو أحد الرجلين ، اللذين تركهما لحراسة الخزن .. فهما وحدهما يعلمان أنه الآن فى السفارة ، ثم إن السيّارة تخصهما ..

ولقد دفعه هذا إلى أن يقول فى حنق :

ـ حسنًا .. سأقابله .

ذهب الحارس ليعود بالرجل ، فى حين التفت (سيرجى) إلى الملحق العسكرىّ ، وهو يقول فى حنق :

ـ لو أن ذلك الغبىّ لم يكن يحمل أخبارًا تستحق فأ .....

بتر عبارته فجأة ، حينما سمع صوتًا يقول فى برود ساخر :

ـ ماذا ستفعل به أيها (الكوبرا) ؟

تجمّدت الدماء فى عروق (سيرجى كوربوف) ، واستدار فى حركة حادّة إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يحدّق فى وجه الرجل ، الذى يقوده الحارس إلى الداخل ، وقفزت من قلبه صرخة ، لم تكد تصل إلى شفتيه حتى تحوّلت إلى همسة مبحوحة ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !!

فلقد التقت عيناه بعينى الرجل ، الذى ظن أنه قد تخلّص منه منذ ساعات ..

الرجل الذى يحمل لقب (رجل المستحيل) ..

* * *

كان ذلك الانفعال العجيب ، المتداخل ، الذى يجمع ما بين الاستنكار ، والذّهول ، وبعض الذّعر والفزع ، والذى ارتسم على وجه (سيرجى) ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، كفيلًا بأن يقفز الحارس إلى الخلف ، وينتزع مسدّسه ، ويُحكِم قبضته على مقبضه ، وهو يصوّبه فى تحفّز وتوتّر إلى (أدهم) ، فى حين قفز الملحق العسكرىّ من مقعده ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

كان أوّل من أجاب سؤاله المتوتّر هو (أدهم) ، الذى قال فى هدوء :

ـ لست أدرى يا سيّدى الملحق العسكرىّ .. لقد أتيت لاصطحاب رفيقى فحسب ، ولست أدرى لِمَ أثار ذلك كل هذا الذّهول والتوتّر .

اتسعت عينا الملحق العسكرىّ فى دهشة وحَيْرة ، وهو يغمغم :

— رفيقتك ؟!

ابتسم (أدهم) ، وكاد ينطق بكلمة ما ، لولا أن انتزع (سيرجى) نفسه من ذهوله دفعة واحدة ، وصرخ بكل ما يحمل من غضب وسُخط ، موجهًا حديثه إلى الحارس :

— اقتله .. أطلق عليه النار بسرعة ..

وبدون لحظة واحدة من التردُّد ، أو ذرّة من التفكير ، أطاع الحارس الأمر ..

وأطلق النار ..

* * *



٤ — الهدف .. (مصر) ..

ألقت (كلوديا موريس) أوامرها وتعليماتها ، لرجالها الذين يعملون على إعداد رَدهة العرض ، الخاصّة بعرض الأزياء الخاصّ ، فى ذلك الفندق الفاخر ، فى قلب (القاهرة) ، وقد بدا من الواضح أنها تُعانى العصبيّة والتوتُّر الشديدين ، وهى تتحرّك فى كل مكان ، وتسُبّ ساخطة كلما تلكّأ أحد الرجال فى أداء عمل مّا ..

واقترب منها فرنسىّ وسيم ، وقف لحظة أمامها صامتًا ، قبل أن ينحنى على أذنها ، هامسًا فى هدوء :

— لقد تمّ إعداد كل شىء يا سيِّدتى .

سألته وهى تشعل سيجارتها فى عصبيّة واضحة :

— وماذا لو أن الرجل المنشود لم يحضر العرض ، بسبب انشغاله مثلًا بالعمل ، أو شىء من هذا القبيل ؟

ابتسم وهو يجيب فى هدوء :

— سيأتى يا سيِّدتى .

صاحت فى حنق :

ـ لِمَ يبدو الجميع هادئين واثقين إلى هذا الحدّ ؟

وتنبهت فجأة إلى أنها قد نطقت عبارتها الأخيرة بصوت صارخ ، فعقدت حاجبيها فى حَنَق ، وهى تستطرد هامسة :

ـ يلُوح لى أننى أقلّ الجميع علمًا بما سيحدث الليلة .

تجاهل الرجل حَنَقها ، وقال فى هدوء :

ـ يمكنك أن تصعدى إلى حجرتك يا سيّدتى ، فأنت بحاجة لبعض النّوم والرّاحة ، حتى تتألقى فى عَرْضى اليَوْم ، وسأتولّى أنا كل شىء .

خامرها شعور بأنّ الرجل يريد إبعادها عن المكان عمدًا ، وكادت تصرُخ وتعترض فى عناد ، لولا أن أيقظت عبارته تعبها وإرهاقها ، فغمغمت فى حَنَق :

ـ يبدو أنك على حق .

ثم اندفعت فجأة تغادر القاعة ، وهى تغمغم فى صوتٍ غير مسموع :

ـ فليفعلوا ما يحلو لهم .. المهم أن تنجح العمليّة ، وأعود إلى (فرنسا) بأسرار (مصر) .. هذا هو الهدف ..

* * *

أطاع حارس السفارة السوفيتية أمر (سيرجى كوربوف) بلا تفكير ، فأطلق رصاصة مسدّسه نحو (أدهم صبرى) ، ولكن الرصاصة اخترقت هواء الحجرة ، قبل أن تستقر فى الحائط المقابل ، فى صوت مكتوم ، دون أن تصيب هدفها ..

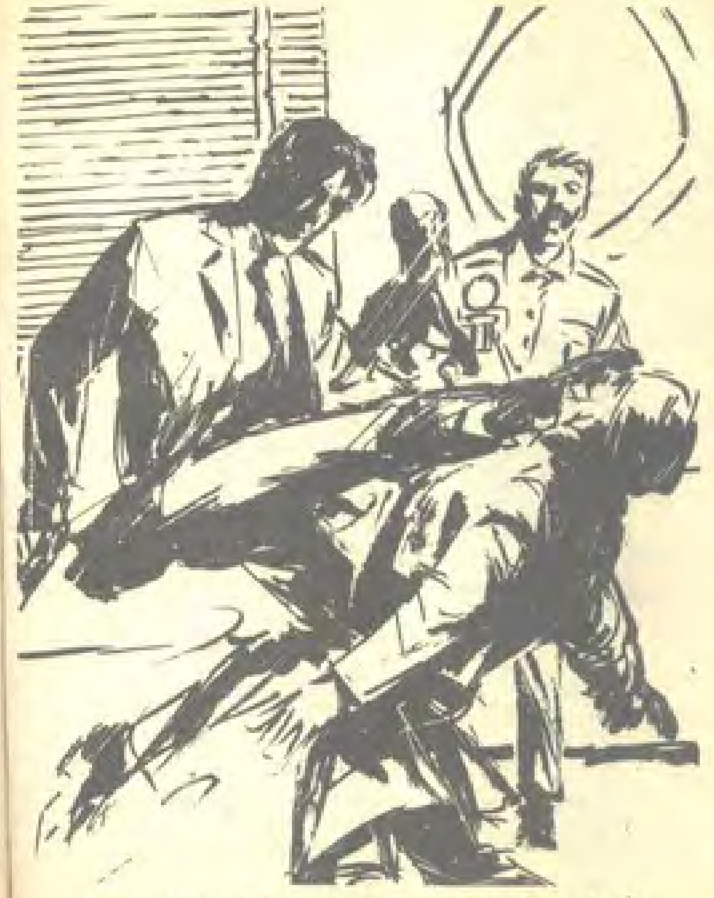
لأن الهدف لم يكن هناك ..

فلم يكد (سيرجى) يصرخ بذلك الأمر ، حتى غاص (أدهم) إلى أسفل فجأة ، وتحرّك بسرعة استجابة مذهلة ، فقفز جانبًا ، وطوّح قدمه لتركل المسدّس من يد الحارس ، ثم قفز يلتقطه فى الهواء ، وركل الحارس فى وجهه ركلة قويّة ، ألقته مترين إلى الخلف ، فارتطم ظهره بجدار الحجرة فى قوّة ، قبل أن يستقر (أدهم) على قدميه ، ويصوّب المسدّس إلى الجميع ، قائلًا فى هدوء ساخر :

حَذارِ أيها السّادة ، لقد انقلبت الأمور .. أنا الذى يحمل المسدّس الآن .

صاح (سيرجى) فى غضب :

ـ لو تظن أنك ستفلت من هنا فأنت واهم ، ولو .....



وطوّح قدمه لتركل المسدّس من يد الحارس ، ثم قفز بلنقطه فى الهواء ، وركل الحارس فى وجهه ركلة قويّة ..

قاطعه الملحق العسكرى ، وهو يسأل (أدهم) فى صرامة :

ــ من أنت ؟.. وماذا تريد ؟

انحنى (أدهم) فى حركة مسرحيّة ساخرة ، وهو يقول :

ــ (أدهم صبرى) أيها الرفيق ، ولست أريد سوى رفيقتى ، التى تحتجزونها دون وجه حق .

قال الملحق العسكرى فى غضب :

ــ ولكنك تنتهك حُرمة أرض سوفيتية بهذا الأسلوب الفجّ .

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ــ أى أسلوب فجّ أيها الرّفيق ؟.. لقد دخلت السّفارة من بوّابتها الرئيسية ، وبصحبة أحد حرّاسها ، ولكن الرفيق (سيرجى) أمر الحارس بقتلى ، فلم أفعل سوى أن دافعت عن حياتى .

صاح (سيرجى) فى سخط :

ــ كيف تتصوّر نجاحك فى الخروج من هنا ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ إننى لم أتصوّر ذلك فى الواقع أيها الرفيق (الكوبرا) .. فلقد كانت كل مشكلتى هى الدخول لإحضار رفيقتى ، وليس الخروج ..

سأله الملحق العسكرى فى حدة :

ـ أى رفيقة تلك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ تلك الفتاة المصرية ، التى تنوون شحنها إلى (موسكو) ، فى حقيبة ديلوماسيَّة .

ظهرت الصرامة على وجه (سيرجى) ، فى حين نقل الملحق العسكرى بصره بينه وبين (أدهم) ، قبل أن يقول فى برود :

ـ ليس هناك أساس لهذا الذى تتحدث عنه أيها الرفيق (أدهم) ، فلا توجد لدينا أيَّة فتاة مصـ .....

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ـ بل توجد أيها الملحق العسكرى ، وإذا أردت أن نتحدث بمزيد من الصراحة ، فهى تنتمى إلى المخابرات المصريَّة .. وهذا يعنى أن اختطافكم لها ، على هذا النحو ، إعلان للعداء بين دولتينا ، وعليكم أن تتحمَّلوا كل النتائج المترتِّبة على هذا أمام دولتى ، التى لا تغفر أبدًا هذا النوع من الاعتداء على رجالها .

أثارت كلماته قلق الملحق العسكرى ، الذى نقل بصره إلى وجه (سيرجى) البارد الصارم ، قبل أن يعود بعينيه إلى (أدهم) مغمغمًا فى صوت لم يقنعه هو نفسه :

ـ قلت لك إنه لا توجد لدينا أيَّة مصريَّات .

ظهر الغضب على وجه (أدهم) ، وهو يقول فى حدة :

ـ كُفَّ عن هذه المناورات المكشوفة أيها الملحق العسكرى ، ولا تورِّط نفسك فى عملية فاشلة .. لست أدرى ما الذى أخبرك به هذا (الكوبرا) ، ولكنه يسعى لانتقام شخصى بحت ، قد تدفع دولته كلها ثمنه .. فليكن .. سأكشف الأوراق كلها على مائدتك .. لقد أرسلت دولتك (سيرجى كوربوف) هذا ، ليقتصَّ من (جوزفين مونييه) ، تلك الفتاة التى سرقت سرّ طائرتكم الجديدة ، ونشرته على الصفحة الأولى لجريدة (لوموند) الفرنسيَّة .. ولقد كنا أنا وزميلتى نسعى بدورنا خلف الفتاة ، للغرض نفسه ، ولكن الرفيق (سيرجى) تسرَّع فى قتل الفتاة ، قبل أن يستجوبها ، ليعلم منها أسماء من عاونوها على الحصول على أسراركم ، أو كم تملك من تلك الأسرار ، وحينما تنبَّه إلى خطئه ، أراد أن يخفى فشله بقتل ، واختطاف زميلتى ، لتسوية حساب شخصى قديم ، دون النظر إلى العواقب ، وهذا يخالف واجبه فى مخابراتكم .

اتسعت عينا الملحق العسكرى فى دهشة ، أمام هذا السيل من المعلومات ، فى حين بدا (سيرجى) شديد الغضب والحنق ، وهو يقول :

ـــ بل أنت الذى يورِّط نفسه فى أمر يفوق طاقته أيها الرفيق (أدهم)، فلقد اقتحمت سفارتنا ، وهدَّدت رجل مخابرات سوفيتى ، والملحق العسكرىّ للسفارة بمسدسك ، ويحق لنا قتلك هنا ، دون أن نتحمَّل أدنى وِزْر .

ثم حملت لهجته بعض السخرية ، وهو يستطرد :

ـــ ألم تسأل نفسك لِمَ لَمْ يهرع حرّاس السّفارة كلهم إلى هنا ، على صوت رصاصة زميلهم ، التى استقرَّت فى جدار الحجرة ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم)، وهو يقول:

ـــ كنت أتساءل فى الواقع .

اندفع (سيرجى) يقول فى حِدَّة :

ـــ لأنهم ينتظرونك جميعًا خارج الحجرة أيها المغرور ، ولن يمكنك مغادرة المكان ، إلّا وأنت تحمل فى جسدك عددًا من الرصاصات ، يكفى لصنع صندوق من النحاس النقى .

وبرقت عيناه فى شراسة ، وهو يستطرد فى تشفّ .

ـــ لقد أقدمت على لُعبة خاسرة أيها المصرىّ ، والمصير الوحيد الذى ينتظرك هنا هو الموت .. الموت وحده ..

* * *

ساد الصمت لحظة ، بعد عبارة (سيرجى) الأخيرة ، تعلّقت خلالها عيون الرجال الثلاثة بوجه (أدهم) ، الذى ظلّ هادئًا ، ثم لم تلبث ضحكة ساخرة أن انطلقت من بين شفتيه ، وهو يقول :

ـــ خطأ أيها الرفيق .. خطأ .. ترى هل تجهل بالفعل القواعد المعمول بها فى كل السّفارات السوفيتية ، فى جميع أنحاء العالم ، أم أنك تحاول خداعى بهذا الأسلوب الساذج ؟

ثم أشار إلى جدار الحجرة ، وهو يستطرد بنفس الأسلوب الساخر :

ـــ إن جدران الحجرات كلها هنا مصنوعة من مواد عازلة للصوت ، حتى الباب والنوافذ ، لمنع أيّة محاولة لدسّ جهاز تصنُّت دقيق من الخارج .. إنها قاعدة فى كل سفاراتكم أيها (الكوبرا) ، والجميع يعلمون هذا ، حتى المخابرات الأمريكية .

ظهر سخط شديد على وجه (سيرجى) ، وهو يغمغم :

ـــ أيها الشيطان المغرور !!

أما الملحق العسكرىّ ، فقد ألقى نفسه على مقعده ، وقد شعر بإحباط شديد ؛ لأن (أدهم) كشف هذه الخُدعة ، وقلَّب كفَّيه ، وهو يغمغم فى يأس :

— والآن ماذا نفعل ؟

هتف به (أدهم) فى ثقة عجيبة :

— لا تترك نفسك نهبًا للحيْرة والقلق أيها الرفيق .. اتصل برؤسائك فى (موسكو) ، واعرض عليهم الأمر ، واستشرهم فيما ينبغى فعله .

صاح (سيرجي) فى غضب :

— ليس من حقك أن تملى علينا ما ينبغى أن نفعله .

ابتسم (أدهم) فى برود ، فى حين تردَّد الملحق العسكرىّ لحظة ، ثم التقط سمَّاعة هاتف أحمر خاص ، وهو يقول فى أسف :

— نعم .. يبدو أن هذا هو الأسلوب الوحيد لحسم الأمر .

* * *

استمع الملحق العسكرىّ السوفيتى فى اهتمام ، لحديث المسئولين فى (موسكو) ، ثم اكتست ملامحه بقناع من الصرامة والحزم ، وهو يغمغم :

— سمعًا وطاعة .

ثم وضع السمَّاعة ، والتفت إلى الحارس ، قائلًا فى لهجة آمرة ، لا تحتمل النقاش :

— أحضر الفتاة المصرية إلى هنا .

ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى (أدهم) ، فى حين صرخ (سيرجى) فى غضب :

— كيف ؟!.. هل ستسلِّمها له لقمة سائغة ؟.. لقد بذلت جهدًا كبيرًا حتى ......

صاح به الملحق العسكرىّ فى صرامة :

— كفى أيُّها الرفيق (سيرجى) .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وهو يواصل فى حدَّة غاضبة :

— لقد استاء الرؤساء مما فعلت استياءً بالغًا ، ويقولون إن أساليبك تبدو أقرب إلى رجال العصابات ، منها إلى رجال مخابرات ، ويأمرونك بإطلاق سراح فتاة المخابرات المصريَّة على الفور ، فعلاقتنا بمصر جيِّدة للغاية هذه الأيام ، وهم يكرهون إفسادها لمجرَّد رغبتك فى انتقام شخصى .

صاح (سيرجى) فى استنكار :

— ولكن .....

عاد الملحق العسكرىّ يقاطعه فى صوت هادر :

— قلت كفى .

ثم التفت إلى الحارس ، مكرّرًا أمره فى صرامة :

ـــ أحضر الفتاة .

* * *

تعلّقت (منى) بذراع (أدهم) ، واغرورقت عيناها بدموع السعادة ، وهى تهتف :

ـــ (أدهم) !! .. أنت حىّ ؟! .. حمدًا لله !! حمدًا لله !!

ربّت (أدهم) على كتفها فى حنان ، فى حين حدجهما (سيرجى) بنظرة ناريّة ، وهو يغمغم :

ـــ لن يظلّ كذلك طويلًا .

أما الملحق العسكرىّ ، فقد صافحهما ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لست أدرى كيف حدث هذا أيها الرفيق (أدهم)؟.. إنها السابقة الأولى فى سياسة دولتى .. من الواضح أنك رجل محظوظ للغاية .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ بل هى إرادة الله (سبحانه وتعالى) يا سيّدى .

تشبّثت (منى) بذراعه ، غير مصدّقة بنجاته ، ولا بإنقاذه لها على هذا النحو العجيب ، الذى لم يسبق حدوثه فى أيّة سفارة

تابعة لدولة أجنبية ، فى حين التفت هو إلى (سيرجى) ، الذى بدا حانقًا ، متشاغلًا ، بإشعال واحدة من سجائره ، ذات الروائح النفّاذة ، وقال :

ـــ وداعًا أيها الرفيق (الكوبرا) .

التفت إليه (سيرجى) ، يحدجه بنظرة ناريّة ، وهو يقول :

ـــ سنلتقى أيها الرفيق (أدهم) .

ثم أردف فى لهجة تحمل كل بغضه وكراهيته وغضبه :

ـــ وعندما نلتقى ، سيكون أحدنا جثّة هامدة .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ نعم أيها (الكوبرا) .. سنلتقى .

وأسرع يغادر السفارة السوفيتية مع (منى) ، ولم يكد يدلف إلى السيّارة الفرنسيّة ، ويدير محرّكها ، حتى هتف رجل يقف على ناصية الطريق :

ـــ يا للشيطان !!.. ها هو ذا الرجل الذى نبحث عنه !

سأله رفيقه فى دهشة :

ـــ وماذا كان يفعل فى السفارة السوفيتية ؟

أجابه الأوّل ، وهو يهرع إلى سيّارته :

— دعك من هذا يا صديقى .. المهم أننا قد وجدناه .

لحق به زميله فى السيّارة ، وأدار الأوّل محرّكها ، وانطلق بها خلف سيّارة (أدهم) ، فى حين تأكّد الثانى من حشو مدفعه الرشاش ، ثم التقط سمّاعة هاتف السيّارة ، وقال وهو يتابع سيّارة (أدهم) بعينيه :

— ألو .. مرحبًا يا (مارتان) .. عندى لك أخبار سارّة .. لقد عثرنا على الصيد ، ونحن فى طريقنا لتصفيته .. أبلغ الزعيم لِعدّ الملايين الثلاثة .. سنعود إليه بجثة الشيطان المصرىّ بعد قليل .

وارتسمت على شفتيهما ابتسامة وحشيّة واثقة ..

* * *



٥ — مدينة العصابات ..

تنهّدت (منى) فى ارتياح غامر ، واسترخت فى مقعدها ، وهى تهتف :

— لست أصدّق بعد .. لقد كان ذلك رائعًا .. أظن أننا أوّل من يغادر سفارة سوفيتية على هذا النحو .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

— لن يمكنك الجزم بذلك أبدًا يا عزيزتى ، فالسوفييت يميلون إلى التكتّم فى كل ما يخص شئونهم الداخليّة ، وهم يثيرون إعجابى بالفعل ، فإخلاصهم لدولتهم أمر رائع ، يجعلنى أحترمهم دومًا .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة ، وهى تقول فى تكاسُل :

— من حقّك بالطبع أن يكون لك رأى خاص .

تظاهر بعدم فهم مغزى عبارتها ، وهو يقول :

— المهم أن تدخّل (سيرجى كوريوف) فى الأمر ، قد

أضاع منا وقتا ثمينا ، فنحن لا نعلم بعد أين ينوى (ملائكة الجحيم) توجيه ضربتهم الجديدة .

عقدت حاجبيها ، وهى تغمغم فى سخط :

ـ يا إلهى !!.. كدت أنسى أمر هؤلاء الأوغاد .

ثم أردفت فى اهتمام :

ـ أعتقد أننا لو أخذنا فى الاعتبار مهمتهم الأولى ، فى الاتحاد السوفيتى ، فسيكون من المنطقىّ أن تتوجّه ضربتهم الثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

هزّ رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول :

ـ لا أظن ذلك يا عزيزتى ، فهذه هى الضربة التى يتوقّعها الجميع ؛ لذا فلن يلجئوا إليها ، ثم إن وجود (سونيا جراهام) على رأس هؤلاء الأوغاد ، يجعلنى أميل إلى .....

بتر عبارته فجأة ، وعلى نحو أثار انتباه (منى) ، فسألته فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟

أجابها وهو يتطلّع إلى مرآة سيّارته فى اهتمام :

ـ هذه السيّارة السّوداء خلفنا .. أظن أنها .....

مرّة أخرى لم يتم عبارته ، فقد انحرفت السيّارة السوداء

إلى يسارهم فجأة ، وزاد قائدها من سرعته لينطلق بمحاذاتهم تمامًا ، فى حين أخرج الثانى ماسورة مدفعه الرشّاش من نافذة السيّارة ، وأطلق النيران فى غزارة ..

* * *

انطلقت صيحة (سونيا جراهام) كالقنبلة ، فى وجه (مارسيل بيكر) ، وهى تهتف :

ـ عثروا عليه ؟!.. أبلغ كل رجالك بالأمر إذن يا (مارسيل) .. مُرْهُم بمحاصرته من كل الجوانب ، وإطلاق النار عليه بلا رحمة .

ابتسم (مارسيل) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ اهدئى يا عزيزتى (برجيت) .. إن (ماريان) و (سينيوريه) ينطلقان خلفه ، وهما من أفضل رجالى ، ولم تفلت منهما فريسة قطّ .

صرخت فى غضب :

ـ إلّا (أدهم صبرى) .. ألم تعلّمك تجربتك السابقة فى التعامل معه بعد ؟.. هل نسيت كيف قتل أسدك الغبىّ بيديه العارتين ؟

ارتسم الغضب على ملامح (مارسيل) الوسيمة ، حينا

أعادت إليه كلمات (سونيا) ذكرى أسده الصريع ، وهتف فى حِدّة :

— كفى يا (برجيت) .. أنا الذى يلقى الأوامر هنا ، ولن أستحق لقب (ملك العصابات) ، لو أننى تلقيت أوامرى من امرأة ، حتى ولو كانت شقراء فاتنة مثلك .

تراجعت ، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى الرجاء :

— ولكننى أكثركم معرفة بـ (أدهم صبرى) .. إنه شيطان .

أجابها (مارسيل) فى صرامة :

— وأنا (ملك العصابات) فى (فرنسا) يا (برجيت) ، وسترين لمن يكون النصر ، لشيطان منفرد ، أم لـ (ملك العصابات) ؟.

* * *

كثيرًا ما نُهدِرُ الساعات فى حياتنا اليوميّة ، دون أن ندرك قيمتها ، ودون أن تعنى لنا الكثير ، وقد نردّد كثيرًا تلك الحكمة التى تقول : «الوقت من ذهب» ، ولكننا نكتفى بمجرّد ترديدها ، دون أن نصنع منها قاعدة لحياتنا ..

أما بالنسبة لـ (أدهم صبرى) ، فالأمر يختلف ..

لقد كانت أوّل قاعدة ، لقّنه إيّاها والده (رحمه الله) وهو يدرّبه على أعمال المخابرات ، أن الثانية الواحدة قد تكون الحدّ الفاصل بين الموت والحياة ، بين النصر والهزيمة ، بين البقاء والضياع ..

ولقد وعى (أدهم) هذا الدّرس جيّدًا ، وأكّدت له خبرته بالعمل فى عالم المخابرات ، أنها قاعدة صحيحة ، لا تقبل الجدل ..

ففى هذه اللحظة مثلًا ، كان الفارق بين الموت والحياة ثانية واحدة ..

لم يكد (ماريان) يخرج ماسورة مدفعه الرّشاش من نافذة السيّارة ، وقبل أن تضغط سبّابته الزّناد بثانية واحدة ، انحنى (أدهم) فى سرعة البرق ، ودفع (منى) بذراعه ؛ ليجبرها على الانحناء بدورها ، ثم انحرف بسيّارته يسارًا ، نحو السيارة المطاردة ..

وانطلقت رصاصات (ماريان) لتحطّم نافذة السيّارة اليسرى ، وزجاجها الأمامى ، قبل أن تمرق فوق رأسى (أدهم) و (منى) ، وتنفذ من النافذة اليمنى الأمامية ، وتلك الخلفية ، فى حين ارتطمت مقدّمة سيّارة (أدهم) بمقدّمة سيّارته ، فاختلّ توازنه لحظة ، وهو يسبّ ساخطًا ..

وفى توافق مذهل عجيب ، صنعه الترابط ، والفهم ، والعمل المشترك ، اعتدلت (منى) تمسك عجلة القيادة فى إحكام ، حتى لاترتطم السيّارة فى اندفاعها بالسيّارات الأخرى فى الطريق ، فى حين انثنى جسد (أدهم) ، وانفرد ، كأنما هو مصنوع من المطّاط ، وفوجئ به (ماريـــان) و (سينيوريه) يقفز من نافذة سيّارته ، ويَعْبُر النافذة الخلفية اليمنى لسيارتهما ، محطّمًا زجاجها فى قوّة ، ليستقرّ فى مرونة مذهلة على المقعد الخلفى ..

ولقد أراد (ماريان) أن يستدير ؛ ليطلق عليه النار ، وشاء (سينيوريه) أن ينحرف بالسيّارة على نحو مفاجئ ؛ ليفقده توازنه ، ولكن أحدهما لم يحقق ما أراده قطّ ، فقبل أن يتحرّك (ماريان) قيد أنملة ، كانت قبضة فولاذيّة تهوى على أذنه كالقنبلة ، فشعر بآلام مبرّحة فى مخه ، حتى خيّل إليه أنه سيسيل عبْر ثقبى أنفه ، ثم لم تلبث لكمة أخرى أن حطّمت هذا الأنف ، وساد بعدها ظلام اللاوعى فى عقل (ماريان) .

ورأى (سينيوريه) ما حدث ، فعدل عن فكرته ، إثر رعب هائل ملأ أعماقه ، وتخلّى عن عجلة القيادة ؛ ليرفع ذراعيه مستسلمًا ، صائحًا :



وفوجئ به (ماريان) و (سينيوريه) يقفز من نافذة سيّارته ، ويَعْبُر النافذة الخلفية اليمنى لسيارتهما ، محطّمًا زجاجهما فى قوّة ..

— إنني أستسلم .. لا تضربني .. إنني أستسلم .

صاح به (أدهم) في صرامة :

— أمسك عجلة القيادة ، وأوقف السيّارة .

أسرع (سينيوريه) يمسك عجلة القيادة بكلتا قبضتيه في قوّة ، وهو يعتصر (كمّاحة) سيارته بقدمه ، حتى صرخت السيّارة في صرير مُزعج ، قبل أن تتوقّف على جانب الطريق ، واندفع عشرات المارّة ، الذين أذهلهم ما حدث نحوها ، حتى لقد وجد رجل الشرطة الفرنسي صعوبة بالغة في الوصول إليها ، وهو يشقّ طريقه بين الجموع ، حتى أصبح إلى جوار السيّارة ، فأخرج دفتره وقلمه ، وهو يقول في هدوء :

— والآن ماذا حدث بالضبط ؟

أجابه أحد المحيطين بالسيّارة في انفعال :

— لقد قفز ذلك الرجل من سيّارته إلى تلك السيّارة ، وانتقلت زميلته لتحتل مقعد القيادة في سرعة ومهارة ، لم أشهد مثلهما حتى في أفلام المغامرات الأمريكية و .....

قاطعه رجل الشرطة في صرامة :

— رُوَيْدك حتى يمكنني تسجيل ما حدث .. والآن أين ذلك الرجل الذي قفز ؟

وانحنى ليتطلّع داخل السيّارة السّوداء ، ثم عقد حاجبيه في دهشة ، حينما وقع بصره على رجلين ، تهشّم أنف أحدهما ، وبرزت كَدْمة كبيرة في مُؤخرة عنق الآخر ، فاعتدل وهو يكرِّر سؤاله في حِدّة :

— أين ذلك الرجل ورفيقته ؟

ساد الصمت وهلة ، قبل أن يغمغم رجل آخر :

— سيارتهما متوقّفة هناك ، وقد أصابتها كُومةٌ من الرصاصات .

عاد الشرطيّ يسأل في عصبيّة :

— ولكن أين هما ؟

لم يجبه أحد هذه المرّة ، وتلفّت الجميع حولهم في حَيْرة ، فقد اختفى (أدهم) و (منى) تمامًا ، وكأنما ابتلعتهم المدينة .. مدينة العِصَابات ..





٦ ــ جولة بوجوه جديدة ..

امتلأت عروق (سونيا جراهام) بغضب هائل ، تجمّع فى صدرها من حنجرتها على هيئة صرخة هادرة ، وهى تقول :

ــ هل رأيت ؟! .. لقد فقدتهما بغرورك يا (مارسيل) .

أشعل (مارسيل) سيجارته فى عصبيّة ، وهو يقول فى حِدّة :

ــ لقد كان الرجل محظوظًا هذه المرّة يا (برجيت) ، ولكن حظّه هذا لن يدوم طويلًا .

صاحت فى سُخرية مريرة :

ــ حظّه ؟!.. يبدو أنك لم تدرك بعد أى رجل تقاتل ، أو أن غرورك يدفعك لرفض الاعتراف بذلك .. إن (أدهم صبرى) هذا هو أخطر رجل مخابرات فى العالم أجمع ..

هتف فى عصبيّة :

ــ هل تسعين لتحطيم معنويّاتى يا (برجيت) ؟

أشعلت سيجارتها بدوْرها ، لتنفث غضبها مع دُخانها ، وهى تقول :

ــ كلّا .. وإنما أحاول تبصيرك بقدرات خصمك فحسب ، فلقد نجح فى الإفلات من موت محقّق عشرات المرّات ، لمجرّد أن أحدًا لم يحسن تقدير قدراته .

صاح فى حَنق :

ــ قلت لك إنه لن يفلت من رجالى ، ما دام بين حدود (فرنسا) .

كادت تمزّق سيجارتها بأسنانها ، وهى تقول :

ــ المهم أن تعثر عليه مرّة أخرى .. لقد أضعت فرصة نادرة ، لثقتك فى قدرات رجالك ، التى لا تساوى مقدار خردلة من قدراته ، على الرغم من أنه لم يُبرزْ كلّ أنيابه بعد .

هتف فى سخط :

ــ فليُبرزْ كل أنيابه ، ولنرَ أينا أحدُّ أنيابًا .

ثم التقط سمّاعة هاتفه ، وضغط أزراره فى عصبيّة ، فسألته فى توتّر :

ــ ماذا ستفعل ؟

أجابها فى صرامة غاضبة :

ــ ليس لهذه المكالمة شأنٌ بشيطانك يا (برجيت) .. إننى أتصل بمحاميَّ الخاص (آلان لويس) ، فلقد ألقى رجال الشرطة

القبض على (ماريان) و (سيتيوريه) ، وبحوزتهما مدفع رشاش ، وهذا يحتاج إلى محام قدير ، يجيد الغوص فى أعماق القانون ، والتقاط ثغراته .

سألته فى مزيج من الدهشة والعصبيّة :

ـ وماذا عن (أدهم صبرى) ؟

خدجها بنظرة ناريّة ، وتجاهل إجابة سؤالها تمامًا ، وهو يقول عبْر الهاتف :

ـ أنا (مارسيل) يا (آلان) .. لقد ألقت الشرطة القبض على اثنين من رجالنا و .....

قاطعه (آلان) فى اهتمام :

ـ أعلم يا (مارسيل) .. لقد أبلغنى (مارتان) منذ لحظات ، وطلبت منه أن يأمرهما بالتزام الصمت ، حتى أذهب إليهما على الفور .

سأله (مارسيل) فى هدوء :

ـ هل يمكنك معاونتهما ؟

هتف (آلان) فى ثقة :

ـ بالطبع يا (مارسيل) .. لقد عثرت عليهما الشرطة فاقدى الوعى ، وكان (ماريان) يرتدى قفازًا ، ولن يمكنهم

إثبات أن المدفع الرشاش يخصُّهما ، خاصةً أن الرجل الذى أطلقا عليه النار قد اختفى .. اطمئن يا صديقى ، لن ينجح رجال الشرطة فى اعتقالهما ، وسيتم كل شىء بالقانون .

غمغم (مارسيل) فى لهجة جافّة :

ـ هذا عظيم .

ثم وضع السمّاعة ، وهو يلتفت إلى (سونيا) ، التى تنفث دُخان سيجارتها فى حَنق ، وقال :

ـ سيتم كل شىء بالقانون .

كان يكرِّر ـ دون أن يدرى ـ عبارة محاميه الأخيرة ؛ لذا فقد أدهشه ذلك البريق الذى انبعث فجأة من عينى (سونيا) ، وهى تهتف :

ـ يا للشيطان !!.. القانون !.. كيف لم أفكِّر فى هذا ؟

وانتابها الانفعال ، وهى تستطرد :

ـ أعِرْنى اثنين من رجالك يا (مارسيل) .. سأعود إلى منزلى ، فلقد وجدت الطريقة المُثلَى .

سألها فى دهشة :

ـ المُثلَى لماذا ؟

التمعت ابتسامة دهاء على شفتيها ، وهى تقول :

— الطريقة المُثلى لوضع عزيزنا (أدهم صبرى) بين شِقَّي الرَّحى .

ومن بين شفتيها الجميلتين ، انطلقت ضحكة شرسة مخيفة ..

* * *

اتسعت عينا الرائد (وليد) فى دهشة ، حين أجاب نداء جرس منزله ، ففوجئ بـ(أدهم) و (منى) أمامه ، ولكنه أسرع يتنحى جانبًا ، ويفسح لهما الطريق للدخول ، وهو يسأل (أدهم) :

— ماذا حدث ؟

أغلق (أدهم) الباب خلفهما فى هدوء ، وهو يقول :

— لا عليك يا صديقى .. إنها جولة سريعة مع (ملائكة الجحيم) ، دسَّ صديق سوفيتى أنفه فيها ، فتعقَّدت الأمور بعض الشىء .

غمغم (وليد) فى دهشة :

— صديق سوفيتى ؟!

ألقت (منى) جسدها المكدود على أقرب مقعد ، وتثاءبت فى تهالك ، فى حين ابتسم (أدهم) ، وهو يجيب :

— سأقصُّ عليك كل التفاصيل فيما بعد يا صديقى . أمّا الآن فنحن نحتاج إلى معاونتك .

هتف (وليد) فى حماس :

— إننى رهن إشارتك يا سيادة المقدَّم .

اعتدل (أدهم) ، وهو يقول فى اهتمام :

— اسمعنى جيدًا يا صديقى .. لقد أخبرنى أحد أوغاد (مارسيل بيكر) ، قبل أن أفقده الوعى ، أن ذلك الأخير قد أطلق خلفنا كل كلاب الصيد ، من جميع أنحاء (فرنسا) ، وكل منهم يحمل صورتى ، مع وعد بمكافأة تبلغ ثلاثة ملايين فرنك ، مقابل رأسى .. وهذا يَعْنى ضرورة تبديل ملامحى ، وملامح (منى) ، والإقدام على الجولة القادمة بوجوه جديدة ، فى حين تقبع حقيبة التنكُّر الخاصة بى فى غرفتنا بالفندق .

قال (وليد) فى حماس متزايد :

— سأذهب لإحضارها على الفور .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

— كلّا يا صديقى .. سنفترض أنهم سيتوقعون هذه الخطوة ، ما دامت صديقتنا (سونيا جراهام) تلعب فى صفوفهم ؛ لذا فسنلجأ إلى وسيلة أكثر بساطة .. سنذهب

لشراء الأدوات اللازمة للتنكُّر من أسواق (باريس) ، وستجد أنها مهمة بالغة السهولة ، فى هذه المدينة بالذات ، فكل ماتحتاج إليه هو بعض العدسات اللاصقة الملوّنة ، وصبغات الشعر ، وقليل من مساحيق التجميل ، وستجد المتاجر زاخرة بمثل هذه الأشياء هنا .

أجاب (وليد) فى اهتمام :

ـــ سأذهب لإحضار ماتطلب على الفور .

أومأ (أدهم) برأسه فى ارتياح ، وهو يقول :

ـــ أحسنت يا صديقى .. ستكون جولتنا القادمة مع ملك العصابات حافلة .

ثم التفت إلى (منى) مستطردًا :

ـــ أليس كذلك يا عزيزتى ؟

ولكن (منى) لم تُحِرْ جوابًا ، لأنها كانت غارقة فى نوم عميق ..

* * *



٧ ـــ إعداد جاسوس ..

كان عرض الأزياء الذى أقامته (كلوديا موريس) ، فى ذلك الفندق الفاخر ، فى قلب (القاهرة) رائعًا ، حفل بأروع ثياب وموضات العام ، فى تناسق بديع أنيق ، جعل أكُفّ الحاضرين تلتهب بالتصفيق الحادّ ، الذى لم ينجح فى التسلُّل إلى أعماق (كلوديا) ، التى بدت شديدة التوتُّر والعصبيَّة ، وهى تشعل سجائرها واحدة بعد الأخرى ، وتلتهمها فى شراهة تنمّ عن انفعالها الشديد ، وهى تختلس النظر بين لحظة وأخرى ، إلى ذلك الرجل الوقور ، الأشيب الشعر ، الذى يجلس إلى جوار زوجته فى الصفوف الأولى ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يتابع العرض دون شغف ، وكأنما جاء ارضاءً لزوجته فحسب ..

كانت تعلم أن هذا الرجل بالذات هو هدف العملية كلها ..

ولقد وصل انفعالها وتوتُّرها إلى ذروته ، حينما رأت أحد رجالها ، وهو يقترب من الرجل ، وينحنى ليهمس فى أذنه بكلمة ما ،

والرجل يعقد حاجبيه ، وهو يتساءل عمَّن يطلبه فى هذا المكان ، ثم ينهض ليتبع الرجل ، وهو يعتذر لزوجته بابتسامة هادئة ، وكادت تنهار من فرط الانفعال ، حينما اختفى الاثنان ، بعد عبورهما باب قاعة العرض ، ووجدت نفسها ترتجف ، وتعجز عن التقاط أنفاس سيجارتها ، وهى تتساءل فى أعماقها :

ـــ هل ستنجح العملية ؟!

ومن حسن حظها أنها لم تكن تدرك أن ذلك العامل ، الذى يرتدى ثياب عمّال الفندق المميّزة ، والذى خرج فى أعقاب الرجلين ، لم يكن مجرّد عامل عادىّ ، وإلا انهارت ، واعترفت بكل شىء ، دون أن يطالبها أحد بذلك ..

فلم يكن ذلك العامل سوى النقيب (مدحت) .. أحد ضبّاط المخابرات العامّة المصريّة ..

* * *

استيقظت (منى) من نومها العميق بغتة ، وتطلّعت حولها فى دهشة ، ثم استقرّت عيناها على ذلك الأشقر ، ذى العينين الزرقاوين ، الذى يجلس هادئًا على المقعد المقابل لها ، يفحص مسدسًا كبيرًا فى عناية ، وهتفت فى توتّر وتحفّز :

ـــ أين أنا ؟

رفع الأشقر إليها عينيه ، وبدت ابتسامته الهادئة مألوفة ، وهو يقول :

ـــ اطمئنى يا عزيزتى .. أنت فى منزل زميلنا (وليد) ، مدير مكتبنا فى (باريس) .. ولقد غلبك النوم ، بعد أن ظللت مستيقظة طوال ليلة أمس ، فغفوت خمس ساعات كاملة .

حدّقت فى وجه الأشقر فى دهشة ، ثم لم تلبث أن أطلقت ضحكة صافية ، وهى تقول :

ـــ إذن فهو أنت !.. ألن تكفّ عن إثارة دهشتى ، كلّما بدّلت ملامحك بهذه البراعة ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـــ أيّة براعة يا عزيزتى ؟.. إنها من أسوإ أساليب التنكّر التى لجأت إليها .. مجرّد شعر مصبوغ ، وعدسات زرقاء وقليل من المساحيق .

ضحكت وهى تقول :

ـــ هذا صحيح ، ولكنك تستخدم هذه الأشياء البسيطة ببراعة فائقة .

ثم نهضت ، وهى تستطرد مداعبة :

ـــ ألم تفكر فى افتتاح صالون للتجميل يا (أدهم) ؟.. أراهن أنك قادر على تحويل العجوز الشمطاء إلى ملكة جمال فاتنة ، بلمسات من يديك الساحرتين .

هز كتفيه ، وهو يدسّ المسدس فى جيب سترته ، قائلاً :

ـــ ربما فيما بعد يا عزيزتى ، حينما أتقاعد .

سرت مسحة من الحزن فى ملامحها ، وهى تغمغم :

ـــ من النادر أن يبلغ أرباب مهنتنا سنّ التقاعد يا (أدهم) .

شعر (أدهم) بما أصابها ، فنهض وهو يقول فى هدوء :

ـــ هيّا يا عزيزتى ، جاء دورك لإبدال ملامحك ، فعلينا أن نخدع كل رجال (مارسيل بيكر) ، ونحن نعبر شوارع (باريس) أمام عيونهم ، حتى نصل إلى منزل صديقتنا (سونيا جراهام) .

سألته فى اهتمام ، وهى تنهض لأداء ما طلبه منها :

ـــ لماذا لا نهاجم منزل (كلوديا موريس) مباشرة ؟.. إننى أعتقد أنها أقل بأسًا من (سونيا) ، ولا تكاد تجد نفسها أمامنا حتى تنهار وتعترف بكل شىء ، فنعلم منها أين ينوون القيام بعمليتهم القادمة .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لا عليك يا عزيزتى .. إننا نعلم أين ستكون ضربتهم التالية .

سألته فى دهشة :

ـــ أين ؟

صمت لحظة ، قبل أن يجيبها فى هدوء صارم :

ـــ فى مصر .

هتفت فى دهشة :

ـــ يا إلهى !!.. كيف عرفت ؟

عاد يجلس ، وهو يقول فى ضيق :

ـــ لقد أجريت اتصالاً بالقاهرة ، فى أثناء استغراقك فى النوم ، وعلمت منهم أن (كلوديا) قد وصلت إلى هناك صباح اليوم ، وهى تقيم الآن عرضًا للأزياء ، فى أحد فنادق القاهرة الكبرى ، وهم يراقبونها ، ولكن أحدًا لا يدرى ماذا تنوى أن تفعل بالضبط .

غمغمت (منى) فى مزيج من الدهشة والحيرة :

ـــ يا إلهى !!.. ولماذا لا يلقون القبض عليها ، قبل أن تضرب ضربتها ؟

مطّ شفتيه ، وهو يقول في هدوء :

ـ كان الأجدر أن يرفضوا منحها تأشيرة دخول منذ البداية ياعزيزتي ، ولكنهم رأوا أن يتعاملوا معها كسائحة عادية ، وسيّدة أعمال ، ويكتفوا بمراقبتها سرًّا ، عسى أن يكشف هذا شبكة جاسوسية خفيّة في (مصر) ، أو يقودهم إلى معرفة حقيقة نوايا (ملائكة الجحيم) .

عقدت حاجبيها ، وهي تفكّر في الأمر قليلًا ، ثم لم تلبث أن هزّت كتفيها ، وهي تقول :

ـ حسنًا .. لا ريب أنهم على حق ، فمخابراتنا تدرس مثل هذه الأمور في عناية ، وليس من السهل أن تخطئ تقدير الموقف .

ابتسم وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. والآن هيا لتبديل ملامحك يا عزيزتي ، فسيعود (وليد) بعد ساعة واحدة ، بعد أن يحصل على المعلومات اللازمة من (مارسيل بيكر) ، وعلينا أن نكون مستعدين لبدء جولتنا الثانية لحظة عودته .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة مُفْعَمَة بالحماس ، وهي تقول :

ـ سنجعلها بإذن الله الجولة الأخيرة .

ثم انهمكت في تبديل ملامحها ، كما علّمها هو ، في حماس شديد ..

* * *

تظاهر النقيب (مدحت) بالانهماك في تنظيف أحد الموائد ، في رَدْهة الفندق الفاخر ، وهو يختلس النظر إلى ذلك الكهل الوقور ، الذي أخذ يتحدّث مع شخص ما هاتفيًّا ، في حين وقف رجل (كلوديا) إلى جواره هادئًا ، يرتشف بعض قطرات النبيذ الأحمر ، من كأس صغيرة ، يمسكها في راحته بتراخٍ ، حتّى انتهى الكهل من حديثه ، وأعاد سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، ثم توقّف لحظة ، وهو يعقد حاجبيه في حَيْرة ، قبل أن يتجه عائدًا إلى رَدْهة العرض ..

وفي نفس اللحظة تحرّك الرجل الممسك بكأس النبيذ ، على نحو بدا عفويًّا ، فارتطم بالكهل ارتطامة خفيفة ، جعلت كأسه تنقلب بمحتوياتها على سترته ، فتراجع في جزع ، وحاول أن ينفض النبيذ الأحمر عن سترته ، في حين أسرع الرجل الآخر لمعاونته ، وفمه يلهج بالاعتذارات الحارّة ، ثم دعا الكهل لمصاحبته إلى دورة المياه ، لتنظيف بقعة النبيذ ، قبل أن تترك أثرًا واضحًا ..

وتحفّزت حواس (مدحت) ، وهو يسرع خلفهما ..

كان قد لاحظ أن الرجل الآخر قد سكب كأسه ، على نحو أقرب إلى التعمُّد ، وبدا له أنه قد فهم اللُّعبة ، وأن ذلك الرجل فى سبيله لاختطاف الكهل ، الذى يشغل منصبًا رفيعًا فى هيئة التصنيع الحربى ، ويحمل رتبة رنّانة ؛ لذا فقد تحسّس (مدحت) مسدسه المختفى أسفل سترة العمّال المميّزة بالفندق ، واستعدّ لاستخدامه ، وإلقاء القبض على ذلك الرجل ، إذا ما حاول اختطاف الكهل ..

وتركهما يدلفان وحدهما إلى دورة المياه ، ووقف فى الخارج ينتظر ، وهو مطمئن إلى أنه يقف أمام المدخل الوحيد للمكان ، واستعدّت حواسه كلها للعمل ..

وفى الداخل لحق الكهل بالرجل ، وهو يغمغم فى هدوء :

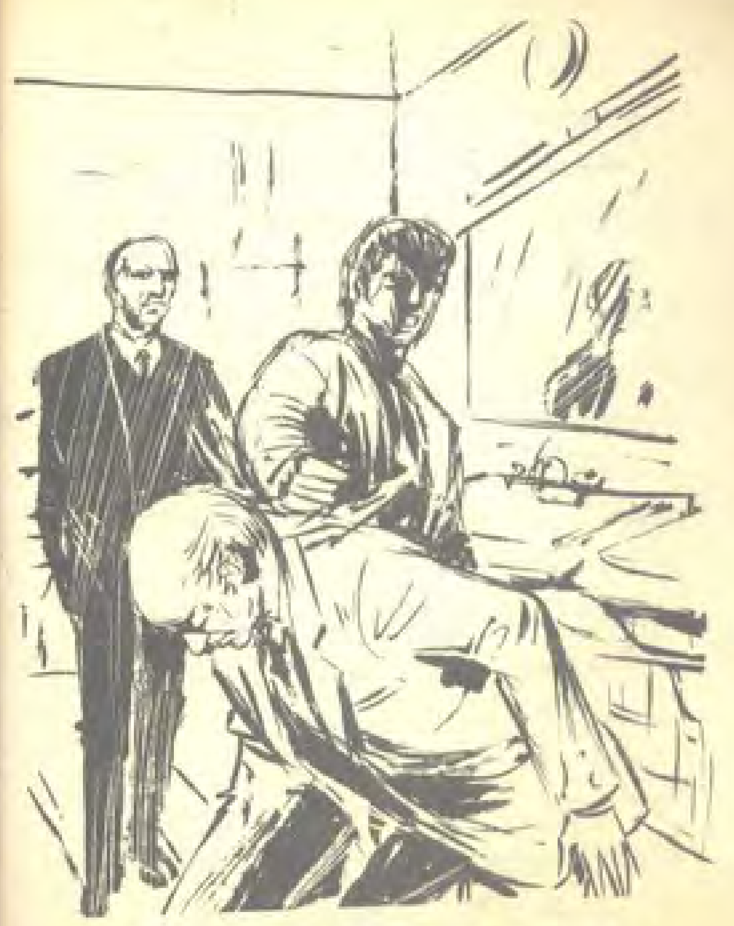
ـ لا عليك يا بنىّ .. يمكننى أنا أن أزيل البقعة دون معاونتك .. إنها مشكلة بسيطة ، وأنت لم تكن تقصد أن .....

وفجأة .. بتر الكهل عبارته ، وهو يحدّق فى ذهول ، فيما ظنّه وهلة صورته المنعكسة فى المرآة ، قبل أن يتبيّن أنه رجل يبدو نسخة طبق الأصل منه ، فى هيئته ، وملامحه ، وزيّه .. فيما عدا بقعة النبيذ ، التى تلوّث سترته هو ..

وأدرك الكهل الموقف فى سرعة ، وأراد أن يتراجع فى حركة حادّة ، ولكن قبضة الرجل المصاحب له هوَت على مؤخرة عنقه بضربة عاجلة فنّية ، فسقط فاقد الوعى ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

وبسرعة وإتقان ، بدّل الجاسوس سترته ، وارتدى سترة الكهل ، ثم ترك رفيقه يجذب الكهل إلى واحدة من دورات المياه الصغيرة ، ويغرز فى ذراعه إبرة حقنة ، تحوى دواءً مخدّرًا ، قبل أن يغلق الدورة الصغيرة خلفه ، وانهمك هو فى تنظيف بقعة النبيذ ، ثم ابتسم فى ظفر ، وسار بجوار الرجل إلى خارج دورة المياه ، والرجل يواصل اعتذاراته ، كأنما يتم حديثه مع الكهل ..

وتنهّد النقيب (مدحت) فى ارتياح ، حينما شاهدهما يخرجان معًا ، وعاد يتبعهما إلى زحمة العرض ، حيث ذهب الجاسوس على الفور إلى منضدة الكهل ، وجلس إلى جوار زوجته يتابع العرض فى هدوء ، فى حين انتحى الرجل الآخر جانبًا ، ووقف يشاهد العرض بدوره فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن شارك المدعوّين تصفيقهم فى حماس ، جعل (كلوديا) تكاد تقفز فرحًا ، وهى تنقّل بصرها بينه وبين آثار بقعة النبيذ



وأراد أن يتراجع فى حركة حاذقة ، ولكن قبضة الرجل المصاحب له هوت على مؤخرة عنقه بضربة عاجلة ..

الباهتة ، على سترة الجاسوس ، فقد كانت هذه هى المرّة الأولى ، التى يشارك فيها الرجل الحاضرين تصفيقهم ..

وكانت هذه إشارة تعنى أن العملية قد تمّت بنجاح ..

أمّا النقيب (مدحت) فقد ظلّ حتى نهاية العرض يراقب الجميع فى اهتمام وحذر ، دون أن يدرى أن أحد رجال (كلوديا) الآخرين قد ادّعى أن السائح الكهل ، الذى يقيم بالفندق منذ يومين ، قد فقد وعيه فى دورة المياه ، كما حدث سابقًا ، وتعاون مع بعض عمّال الفندق ؛ لنقله إلى حجرته ، حيث فحصه رجل ادّعى أنه طبيبه الخاص ، وشكرت له إدارة الفندق عدم إذاعة الخبر ، حرصًا على سمعة المكان ..

كل هذا و (كلوديا) تشعر بالفخر لنجاح العملية ، والنقيب (مدحت) ما زال يتساءل :

ـــ ماذا يمكن أن يحدث هذه الليلة يا تُرى ؟

دون أن يدرك أن عملية (ملائكة الجحيم) الثانية قد تمّت بنجاح .. على أرض مصر ..

* * *

انتهت (منى) من تبديل ملامحها ، وجلست تلقى النظرة الأخيرة على وجهها فى المرآة ، بعد أن تحوّل شعرها إلى لون

ذهبىّ جميل ، وتحوّلت عيناهـــا إلى لون فيروزى هادئ ، وأضافت إلى شفتيها طلاء شفاه داكنا ، وأدهشها أن هذه اللمسات البسيطة قد بدّلت ملامحها على نحو كبير ، فابتسمت وهى تلتفت إلى (أدهم) قائلةً :

ـ ما رأيك ؟

ابتسم ، وهو يقول :

ـ ليس متقنًا للغاية ، ولكنه يكفى .

عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ـ ليس متقنًا ؟!.. ألا تعلم أن النساء هُنّ أبرع من يستخدم أدوات المكياج و .....

قاطعها فجأة صوت جاف يقول :

ـ إنه على حق يا صغيرتى .. تنكُّرك هذا لن يخدع أحدًا .

استدارت هى و (أدهـــم) فى حركة حادّة إلى مصدر الصوت ، فطالعهما وجه (مارسيل بيكر) الوسيم ، الذى يحمل ملامح شديدة الصرامة ، وهو يقف على باب حجرتهما ، ويتطلّع إليهما فى كراهية وغضب واضحين ، وقبل أن يتحرّك (أدهم) ، وعلى الرغم من سرعته التى تفوق المألوف ، برز أربعة رجال من خلف (مارسيل) يصوّبون إليهما مدافعهم

الرشاشة ، فى حين اقتحم كل نافذة من نافذتى الحجرة رجلان ، وأحاطت المدافع الرشاشة بـ(أدهم) و (منى) فى سرعة عجيبة ، فى حين استطرد (مارسيل) فى هدوء ، لم يُخفِ نبْرة الغضب فى صوته :

ـ ما رأيك يا مسيو (أدهم) ؟.. هل أستحق لقب (ملك العصابات) ؟

* * *



٨ ــ بيْن شِقَّي الرَّحَى..

وقف مفتش الشرطة الفرنسى (جان) ، يتطلّع فى أسف إلى محتويات شقة (سونيا) الفاخرة ، التى تحطّمت ، وتبعثرت ، وتناثرت على نحو عجيب ، ثم نقّل بصره إلى عين (سونيا) اليسرى المتورّمة ، التى تحيط بها كدمة زرقاء منتفخة ، وهزّ رأسه فى أسف مرّة أخرى ، قبل أن يقول ، وهو يتطلّع إلى وجه (سونيا) الفاتن فى إشفاق :

ــ إذن فهو حادث سطو ، مقترن باعتداء بدنى .

أومأت (سونيا) فى ضعف واستكانة ، نجحت فى تقمُّصهما فى براعة :

ــ نعم يا سيادة المفتش ، لقد غفوت قليلًا قبيل غروب الشمس ، ثم استيقظت على صوت حركة مريبة فى ردهة المنزل ، وحينما خرجت لتبيُّن الأمر ، رأيت لصًّا يبحث عمّا يسرقه فى نهم ، فأطلقت صرخة مكتومة ، جعلته يلتفت إلىّ ، ويتحدجنى بنظرات مخيفة ، لن تفارق مخيّلتى أبدًا ، ثم هاجمنى فحاولت

الفرار ، وهو يطاردنى فى الرّدهة ، حتى ظفر بى ، فتوسّلت إليه أن يتركنى ، ويأخذ ما يحلو له ، ولكنه لكمنى فى عينى ، وبادر بالفرار ، بعد أن سطا على مجوهراتى كلها .

كانت تتحدّث على نحو يذيب القلوب شفقةً وعطفًا ، ثم ختمت حديثها بدفن وجهها الفاتن بين كفّيها ، وهى تهتف فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ــ لقد كان ذلك فظيعًا يا سيادة المفتش .. فظيعًا .

شعر المفتش (جان) نحوها بكثير من الشفقة والعطف ، وتساءل فى أعماق نفسه : كيف يمكن للصّ مهما بلغت قسوته أن يلكم فاتنة مثلها ؟.. ودفعته شفقته إلى أن يسألها فى لهجة أقرب إلى الهمس :

ــ وهل يمكنك تذكُّر ملامحه ؟

كان هذا هو السؤال الذى تنتظره (سونيا) ، فهتفت فى لهفة :

ــ إننى أحفظها عن ظهر قلب .

شعر بالارتياح لإجابتها ، فابتسم فى عطف ، وهو يقول :

ــ هذا عظيم .. سنحضر واحدًا من رسّامى البحث الجنائى ، وسيكون عليك أن تصفى له هذا اللّص ، وسيرسم أقرب صورة ممكنة له .

قاومت (سونيا) فى قوة ، رغبتها فى رسم ابتسامة ظافرة على شفتيها ، فقد كان هذا ما تسعى إليه منذ البداية ..

لقد جعلت رجل (مارسيل) يحطمان أثاث رَدْهة منزلها ، ويبعثرانه ، ثم تحمّلت أن يلكمها أحدهما فى عينها ، حتى تصل إلى هذا الهدف بالذات ..

إنها تحفظ ملامح (أدهم) عن ظهر قلب ، وخبرتها السابقة فى (الموساد) ستجعل من السهل عليها أن تقود رسّام البحث الجنائى إلى رسم صورة طبق الأصل من غريمها اللّدود ، حتى ينطلق كل رجال الشرطة خلفه ، ولكن عليها أيضًا أن تجعل مهمتهم أكثر سهولة ؛ لذا فقد تظاهرت بأنها قد تذكّرت شيئًا ما ، فأسرعت تهتف :

ـــ هذا اللّصُّ ليس فرنسيًّا .

تطلّع إليها المفتش فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ كيف أمكنك الجزم يا سيّدتى ؟

قالت فى تأكيد :

ـــ لقد نطق بعبارة ما ، قبل أن يلكمنى ، وأظن أنه مصرىّ .. فلقد قضيت بعض الأشهر هناك ، ويمكننى تمييز لهجتهم فى سهولة .

عقد المفتش حاجبيه ، وداعب ذقنه ، وهو يغمغم :

ـــ مصرىّ ؟. هذا يجعل المهمة أكثر سهولة ..

ثم استطرد فى حزم :

ـــ أعِدك أنه لن يمضىَ يوم واحد ، ويكون قد سقط فى أيدينا يا سيِّدتى .

ابتسمت (سونيا) فى ارتياح حقيقى ، فقد أحكمت خدعتها ، وأوقعت (أدهم) بين شِقَّىِ الرَّحَى .. والآن سيكون عليه أن يقاتل الجميع .. الشرطة الفرنسية ، ورجال (مارسيل) ملك العصابات ..

* * *

كان ظهور (مارسيل) ورجاله مفاجأة حقيقية لـ(أدهم) و(منى) ، حتى أن (منى) ظلّت تحدّق فى وجوههم فى ذهول ، فى حين ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وصفّق بكفّيه ، وهو يقول متهكّمًا :

ـــ مسرحيّة رائعة يا ملك الأوغاد ، لقد تفوّقت فى أدائها على (سارة برنارد) نفسها(*) .

(*) سارة برنارد (١٨٤٥ ـــ ١٩٢٣) : ممثلة فرنسية شهيرة ، اسمها الحقيقى (روزين برنار) ، تعد من أعظم الممثلات اللاتى ظهرن على خشبة المسرح ، بلغت أوج شهرتها على مسرح (الكوميدى فرانسيز) (١٨٧٢ ـــ ١٨٨٠) ، استأجرت مسرحًا فى (باريس) ، وأطلقت عليه اسمها . من أشهر مسرحياتها (فيدرا) ، (هرنانى) ، (ليجون) ، ظهرت فى فيلمين من أفلام السينما الصامتة (١٩١٢) .

وهتفت (منى) فى دهشة :

ـــ كيف توصّلت إلينا ؟

كان (أدهم) يدعو الله (سبحانه وتعالى) ألا تنطق (منى) هذا السؤال بالذات ، فهو يكره أن يمنح أعداءه شعورًا بالتفوّق والظّفر ، مهما بلغت براعة أساليبهم ، ووسائلهم ، إلا أنه ـــ وبعد أن ألقت (منى) سؤالها ـــ ظلّ هادئًا ، يبتسم فى سخرية، على الرغم من تلك الابتسامة المزهوّة الظّافرة ، التى ارتسمت على شفتى (مارسيل) ، وهو يلوّح بكفّه ، ذات القفاز الجلدىّ الأسود الأنيق ، قائلًا فى هدوء :

ـــ لم يكن ذلك هيّنًا يا صغيرتى ، ولكننى أردت أن ألقّنكما درسًا ، حتى تثقا فى لحظاتكما الأخيرة أننى أستحق عن جدارة لقب (ملك العصابات) .

كان يتحدّث فى غرور أثار حنق (أدهم) ، وكان يبدو شديد التأنق ، فى حلّته السوداء الأنيقة ، وشعره المصفّف فى عناية بالغة ، وذلك الوشاح الأبيض الناصع ، الذى ألقاه على كتفيه ، وتركه يتسدل على باقى سترته ، ورباط العنق الصغير الأسود .. وجال بخاطر (أدهم) لحظة أن يتجاهل كل هذه المدافع الرشاشة ، المصوّبة إلى جسده ، ويقفز ليصفع هذا

المغرور على مؤخرة عنقه ، إلا أن دواعى الحكمة كانت تقتضى منه أن يلزم الصمت والسكون ، ويحتفظ بابتسامته الساخرة على شفتيه ، انتظارًا للحظة المناسبة للهجوم ، وكان هذا يضطره للاستماع إلى (مارسيل) ، وهو يستطرد فى فخر :

ـــ حينما أخبرتنى عزيزتنا (برجيت) أنك أبرع أهل الأرض فى التنكّر ـــ على حدّ قولها ـــ يا مسيو (أدهم) ، وأنك تحمل فى تنقّلاتك حقيبة أدوات تنكّرك الخاصة .. تذكّرت أنك ، وحتى آخر مواجهة بينك وبين رجالى ، لم تكن تحمل أيّة حقائب ، وكان هذا يعنى أنك إما قد تركت حقيبة التنكّر الخاصة بك فى حجرة فندقك ، الذى لم تعد إليه ، أو تخفيها فى مكان آخر لا ندرى عنه شيئًا .. وهنا طلبت من رجالى تفتيش حجرتك بالفندق ، ولقد عثروا على حقيبة أدوات التنكّر ، مما يعنى أنك ستحتاج بالضرورة إلى أدوات تنكّر أخرى ، ما دمت قد علمت من (سينيوريه) أننا نسعى خلفك .

تألّقت عيناه فى غرور واضح ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يردف فى خيلاء واضحة :

ـــ وهنا طلبت من رجالى التفرّغ لمراقبة كل المتاجر ، التى

تبيع أدوات تصلح للتنكر .. هل تعلم كم يبلغ عدد هذه المتاجر يا مسيو (أدهم) ؟.. إنه رقم رهيب ، يكفى لتعلم كم من الرجال يأتمرون بأوامرى فى (باريس) وحدها ..

أطلق ضحكة قصيرة بعد هذه العبارة ، ثم عاد يواصل قائلاً :

— ولقد راقب رجالى كل متجر فى (باريس) ، وعلى الرغم من براعة زميلكم ، الذى ابتاع ما طلبتماه منه ، من عدة متاجر مختلفة ، إلا أن وقته لم يكن يسمح له إلا بشراء كل هذه الأشياء من حىّ واحد على الأقل .. ولقد كان مجموع ما ابتاعه كبيرًا ، مما أثار ريبة رجالى ، فتبعوه فى طريق عودته إلى هنا ، وقادتنى براعتهم إليكما .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

— هل سنستمع إلى هذه المحاضرة طويلاً ؟.. يؤسفنى أننى أصاب بالملل بسرعة ، ولو أن المحاضرة ستستغرق وقتًا أطول فسأضطر للانصراف .

ابتسم (مارسيل) ، وهو يقول :

— روح دعابة رائعة يا مسيو (أدهم) ، يؤسفنى أن أضطر لقتل رجل مرح مثلك .

أجابه (أدهم) متهكمًا :

— لا تأسف كثيرًا يا ملك الأوغاد .. إن هذا لم يحدث بعد .

مطّ (مارسيل) شفتيه ، وهزّ كتفيه ، وهو يقول :

— هذا صحيح ، ولكنه سيحدث للأسف يا مسيو (أدهم) .

حدجه (أدهم) بنظرة متحدّية ، وهو يبتسم فى استخفاف ، ولكن شهقة ألم من (منى) جعلته يلتفت إلى الخلف فى سرعة ، ورآها تهوى فاقدة الوعى ، إثر ضربة من كعب مدفع أحد رجال (مارسيل) ، على مؤخرة رأسها ، فصاح فى غضب :

— أيها الأوغاد .

ودون أن يبالى بالمدافع الرشاشة المصوّبة إلى جسده ، لكم الرجل على أنفه فى قوة ، ثم أصاب معدته بقبلة ، وهو يقول فى غضب :

— هذا من أجل (منى) .

ومال جانبًا متفاديًا لكمة رجل آخر ، ودار على عقبيه ليلكمه فى فكّه لكمة ساحقة ، تكسّرت لها أسنان الرجل فى

صوت مسموع ، ثم اعتدل لمواجهة الرجال الستة الباقين فى جسارة ، إلا أنه سمع صوت (مارسيل) يهتف فى هدوء :

ـ أطلقوا النار على الفتاة ، لو أنه لم يستسلم على الفور .

تسمَّرت عضلات (أدهم) ، ونقَّل بصره بين المدافع الرشاشة الستة ، التى صوَّبت إلى (منى) ، ثم اعتدل ، وهو يقول فى حنق :

ـ حسنًا أيها الوغد ، هأنذا .

ابتسم (مارسيل) فى ظفر ، وأشعل واحدة من سجائره فى هدوء ، ثم قال :

ـ هذا طريف .. تمامًا كما وصفتك (برجيت) يا مسيو (أدهم) .. شجاع ، قوى ، جرىء .. وشهم .. وهذه الصفة الأخيرة هى نقطة ضعفك يا مسيو (أدهم) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ نحن ـ العرب ـ نعتبرها نقطة قوَّة يا ملك الأوغاد .

هزَّ (مارسيل) كتفيه ، وهو يقول :

ـ لك الحق فى رأى خاصّ يا مسيو (أدهم) .

وهنا ارتفع صوت هادئ حازم ، يقول :

ـ وأنت أيضًا يا مسيو (مارسيل) .

تصلَّبت عضلات رجال (مارسيل) ، ودارت فوَّهات مدافعهم الرشاشة نحو مصدر الصوت ، فى حركة غريزية ، وشعر (أدهم) بارتياح بالغ ، وهو يتطلَّع إلى صاحب العبارة ..

لقد كان الرائد (وليد) ، وقد عاد ـ لحسن الحظ ـ قبل موعده بنصف ساعة كاملة ، وكان يقف عند باب الحجرة ، يصوِّب مسدسه إلى الجميع بلا تمييز ..

ولكن (مارسيل بيكر) أثبت فى هذه اللحظة أنه يمتلك سرعة استجابة فائقة أيضًا ، فلقد كان صوته أوَّل ما ارتفع فى الحجرة ، بعد عبارة (وليد) ، وهو يهتف آمرًا رجاله :

ـ أطلقوا النار على الجميع .

وفُتحت أبواب الجحيم ..

* * *



٩ ـ الخيط الزَّائف ..

استمع مدير المخابرات المصريَّة إلى النقيب (مدحت) فى اهتمام ، حتى انتهى من شرح كل ما حدث فى أثناء عرض الأزياء ، الذى أقامته (كلوديا) ، ثم نهض من مكتبه ، وتحرَّك فى حجرته عاقدًا كفَّيه خلف ظهره ، وزاويًا ما بين حاجبيه ، مفكِّرًا فى عمق ، قبل أن يلتفت إلى (مدحت) ، ويسأله فى اهتمام :

ـ أأنت واثق من أن الرجل قد سكب كأسه عمدًا على سترة اللواء ؟

أومأ النقيب (مدحت) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى ثقة :

ـ لن تخدعنى محاولته للتظاهر بأن الأمر جاء عفويًّا يا سيِّدى ، فموقفه منذ البداية كان مثيرًا للشك .. فالمعتاد حينما يتلقَّى أحد نزلاء الفندق ، أو ضيوفه ، مكالمة هاتفية داخلية ، أن يعْبُر أحد العاملين بالفندق الصفوف ، وهو يحمل لافتة كُتب عليها اسم الشخص المطلوب .. ولكن ذلك الرجل تقدَّم من

سيادة اللواء مباشرة ، وكأنما يعرفه من قبل ، وأخبره بالأمر همسًا ، ثم انتظره جانب الهاتف على نحو مثير للرِّيبة ، وتحرَّك فى اللحظة المناسبة بالذات ، ليرتطم به ، ويسكب محتويات كأسه على سترته .

عاد مدير المخابرات يعقد حاجبيه مفكِّرًا ، قبل أن يسأله مرَّة أخرى :

ـ كم غابا داخل دورة المياه ؟

أجابه (مدحت) :

ـ حوالى ربع الساعة لا غير .

جاء صوت مدير المخابرات هذه المرَّة يحمل نبْرة حانقة ، وهو يقول :

ـ ولِمَ لَمْ تتبعهما إلى الداخل ؟

ارتبك (مدحت) ، وهو يقول :

ـ كان هذا مستحيلًا يا سيِّدى ، فقد كنت أرتدى زىّ العاملين بالفندق ، وغير مسموح للعاملين بدخول دورات المياه الخاصَّة بالزُّوَّاد .

زفر مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ أعلم يا ولدى .. أعلم .

وعاد يجلس خلف مكتبه ، وينقر على سطحه بأصابعه فى توتّر ، وهو يسأله :

ـ وماذا فعل سيادة اللواء ، بعد مغادرته العرض ؟

هزّ (مدحت) كتفيه ، وهو يقول :

ـ لاشيء .. عاد إلى منزله مع زوجته .

مال المدير إلى الأمام ، وهو يقول :

ـ وماذا فعلتْ (كلوديا) ؟

بدا الاهتمام على وجه (مدحت) ، وهو يقول :

ـ لقد بدت شديدة الفرح والسعادة ، بعد انتهاء العرض ، وأسرعت ترسل برقية إلى (برجيت فرانسوا) فى (باريس) ، تقول فيها : « انتهى العرض بنجاح .. أصلُ صباح الغد » ، ثم صعدت إلى حجرتها .

غمغم مدير المخابرات فى توتّر :

ـ حادث غامض ، وبرقية إلى (سونيا جراهام) ، فليقطع ذراعى إن لم يكن هناك أمر جلل قد حدث ، تحت أنوفنا .

ثم استطرد فى حدّة :

ـ وهل ستعود (كلوديا) إلى (باريس) صباح الغد ؟

بدا الضّيق على وجه (مدحت) ، وهو يقول :

ـ نعم يا سيّدى .. ولو أننا لم نعثر على ما يدينها حتى السابعة من صباح الغد ، لن يمكننا احتجازها هنا .

نهض المدير من خلف مكتبه مرّة أخرى ، ووقف أمام نافذة حجرته ، يتطلّع إلى الجوّ المظلم خارجها ، وطال وقوفه وهو يفكّر فى عمق ، ثم التفت إلى (مدحت) ، وقال فى لهجة تشفُّ عن خطورة الأمر :

ـ إن الخيوط جميعها تقود إلى خيط واحد ، أخشى التصريح به منذ البداية يا (مدحت) .

سأله (مدحت) فى قلق :

ـ ما هو يا سيّدى ؟

تنهّد مدير المخابرات فى عمق ، قبل أن يقول فى لهجة تحمل كل الأسف والضّيق :

ـ إن سيادة اللواء جاسوس ، يعمل لحساب (ملائكة الجحيم) ..

* * *

لم يكد (مارسيل) يلقى أمر إطلاق النار ، حتى بدا وكأن نيران الجحيم قد اشتعلت فجأة ، فقد كان (وليد) هو أول من

أطلق النار ، فأصاب أحد رجال (مارسيل) فى رأسه ، فى حين تحرّك (أدهم) فى سرعة البرق ، فركل أحد المدافع الرشاشة ، وحطّم فكّ صاحبه بلكمة ساحقة ، ثم غاص إلى أسفل ، وانثنى ليغوص بقبضته فى معدة آخر ، ويهوى بأخرى على أنف ثالث ، ويركل بقدمه ساق رابع ..

وانطلقت رصاصات الخامس نحو (وليـد) ، ورأى (أدهم) صديقه يسقط أمام الرصاصات ، و (مارسيل) يعدو نحو النافذة ، ويقفز عبْرَها فى خفّة ومهارة ورشاقة ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه ، فاستدار (أدهم) إلى الرجل الذى أطلق الرصاص على (وليد) ، وهشّم أنفه وفكّه بلكمتين متعاقبتين كالبرق ، قويتين كالقنابل ، ثم انقضّ على من بقى من رجال (مارسيل) ، وترك لقبضته العِنان فى وجوههم ، حتى خمدت أصواتهم تمامًا ، فأسرع نحو (وليد) ، وانحنى يفحص جراحه ، فقابلته ابتسامته الشاحبة ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا سيادة المقدّم .. إنها إصابة قابلة للعلاج .. إن ذلك الوغد لم ينجح فى قتلى .. أسرع خلف (مارسيل) .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ سأطلب سيارة إسعاف أوّلاً .



فأسرع نحو (وليد) ، وانحنى يفحص جراحه ، فقابلته ابتسامته الشاحبة ، وهو يقول : اطمئن يا سيادة المقدّم ..

لوّح (وليد) بكفّه رافضًا ، وهو يقول :

ـ أسرع أنت خلف (مارسيل) ياسيّدى ، واترك لى مسدّسى ، وسأقوم أنا بما ينبغى ، فمـــا زلت قادرًا على الوقوف ، والتحدّث هاتفيًا .. لاتترك أنت هذا الوغد بالله عليك .

كان (أدهم) يريد أن يبقى ، حتى يطمئن على زميله ، وزميلته الفاقدة الوعى ، ولكنه كان رجل مخابرات مصريًا من الطراز الأوّل .

رجل مخابرات يعلم أن الواجب يأتى دائمًا فى المرتبة الأولى ، مهما كان الثمن ، ومهما كانت التضحيات ..

وربّت (أدهم) على كتفى زميله ، وألقى نظرة مُفْعَمَة بالحنان على زميلته ، ثم انطلق خلف (مارسيل) ..

* * *

كان (أدهم) يتوقّع بالضرورة أن (مارسيل بيكر) قد هرع إلى وكره ، بعد أن تخلّى عن رجاله ، وبادر بالفرار ؛ لذا فقد أسرع هو إلى حيث تقف سيّارة (وليد) ، وقفز داخلها ، وهو يعتزم الانطلاق إلى وكر (مارسيل) ، ولكنه لم يكد يدير محرّكها حتى امتلأ المكان فجأة برجال الشرطة الفرنسيّين ،

الذين صوّبوا أسلحتهم إليه ، كما لو كانوا ينتظرونه ، وشقّ المفتش (جان) طريقه بينهم ، واقترب من سيارة (أدهم) ، الذى قال فى سخرية :

ـ هل صدر مساء اليوم قانون يمنع القيادة ليلًا أيها المفتش ؟

تجاهل المفتش (جان) لهجته الساخرة ، وانحنى يتأمّل ملامحه فى إمعان ، على ضوء مصباحه اليدوى ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ مصرىّ .. أليس كذلك ؟

أثار السؤال دهشة (أدهم) ، وتساءل فى ريبة : كيف علِمَ المفتش أنه مصرىّ ؟.. ولكنه احتفظ بابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـ بلى .. هل أعلنت (فرنسا) الحرب على مصر ، وصدرت الأوامر بإلقاء القبض على كل المصريّين فى (باريس) ؟

مرّة أخرى تجاهل المفتش لهجته الساخرة ، وهو يبتسم قائلًا فى هدوء :

ـ أراهن أنك لاتحمل رخصة هذه السيّارة .

وفجأة .. وقبل أن يتفوّه (أدهم) بكلمة ، أبرز المفتش مسدّسه ، وشهرَهُ فى وجهه ، وكأنما كانت هذه الحركة إشارة لباقى رجال الشرطة ، فقد تقدّموا جميعًا نحو السيارة ، من كل الاتجاهات ، وهم يصوّبون أسلحتهم إلى (أدهم) ، الذى قال فى حِدّة :

— لو أنها دُعابة ، فهى أسخف دُعابة واجهتها فى حياتى أيها المفتش ، ولو أنها عملية إلقاء قبض بتهمة قانونية ، فأحب أن أذكّرك أننى مواطن مصرىّ و ......

قاطعه المفتش فى هدوء :

— إننى ألقى القبض عليك بتهمة السطو .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— اسمع أيها المفتش .. صحيح أننى لا أحمل رخصة هذه السيّارة ، ولكننى أحمل رخصة قيادة دولية .. وهذه السيّارة ملك زميل لى ، وهو رجل أعمال مصرىّ ، يقيم هنا فى (باريس) ، وهو يقطن هذه البناية و .....

عاد المفتش يقاطعه بنفس الهدوء :

— إننى لم أتّهمك بسرقة السيّارة ، ولكننى أتّهمك بحادث سطو آخر ، وأطلب منك أن تصحبنى إلى نقطة الشرطة ، أو يجبرك رجالى على هذا .

كان آخر مايبحث عنه (أدهم صبرى) هذه المرّة ، هو مزيد من المتاعب ، فقد كان يعلم أنه لو اكتسب عداء الشرطة أيضًا ، فسيتحوّل إلى رجل تسعى (فرنسا) كلها خلفه ؛ لذا فقد استسلم لرجال الشرطة ، وتركهم يكبّلون معصميه بالأغلال ، ويقودونه إلى سيارتهم ، وهو يظن الأمر كله مجرّد خطإ ، لن تلبث أن تكشف عنه الأحداث ، ثم يعود بعد ذلك لمطاردة (مارسيل بيكر) ، دون أن يخطر بباله لحظة ، أن هذا الأخير كان يراقب الموقف ، من ناحية قريبة ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظفر ساخرة ..

* * *

جلس (أدهم) مكبّل المعصمين بالأغلال ، فى تلك الحجرة الصغيرة ، ذات الجدران البيضاء ، التى تركه فيها رجال الشرطة ، داخل مركزهم الرئيسى فى (باريس) ، يسترجع كل ما مرّ به من أحداث ، منذ قدومه مع (منى) إلى (باريس) ، وأحنقه أن الأمور كانت تسير — فى هذه العملية بالذات — على نحو متخبّط عجيب ، وكأنما يتدخّل القدر فى كل خطوة لمعاندته ، وإضافة المزيد من المتاعب والعقبات فى طريقه .. فقد حضر خصيصًا لتعقب (ملائكة الجحيم) ، ومحاولة تحطيم منظمتهم الوليدة ، قبل أن تقوى ويشتد عودها ،

فإذا به يضطر لمقاتلة (سيرجى كوربسوف) ، وكل رجال عصابات فى (فرنسا) ، وأخيرًا رجال الشرطة ..

وخامره شعور بأنه كان متخاذلًا هذه المرّة ، وأنه لم يؤدِ عمله كما ينبغى ، ثم لم يلبث هذا الشعور أن فارقه ، حينما تبيّن له أنه قد فعل حتى الآن كل ما يفعله فى أيّة عملية أخرى ، ولكن هذه العملية بالذات كانت أكثر تشابكًا وتعقيدًا ..

وبينما كان مستغرقًا فى أفكاره ، دخل إلى حجرته المفتش (جان) ، بصحبته رجل هادئ الملامح ، ممتلئ الجسم ، يحمل حقيبة صغيرة ، فقال (أحدهم) فى برود :

ــ إننى أنتظر مكالمة هامّة بعد ساعة واحدة ، وقد أفقد صفقة بعشرة ملايين فرنك ؛ لو لم أتلقاها فى الوقت المناسب ، وسأحمّلكم مسئولية ذلك .

ابتسم المفتش (جان) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ يمكنك طلب تحويلها إلى هنا بكل سرور .

فى حين وضع الرجل المصاحب له حقيبته الصغيرة ، فوق المنضدة الوحيدة فى ركن الحجرة ، وأخرج منها زجاجة تحوى سائلًا شفافًا ، بلّل منه قطعة قطن صغيرة فى حرص ، ودنا بها من شعر (أدهم) ، ومرّرها على خصلة منه فى عناية ، ثم التفت إلى المفتش (جان) ، يقول فى هدوء :

ــ لقد كنت على حق .. إن شعره مصبوغ .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ هل يمنع القانون صبغ الشعر ؟.. أليست هذه حرية شخصية ؟

جلس المفتش (جان) أمامه ، وتطلّع إلى عينيه فى إمعان ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح .. إنها حرية شخصية ؛ هذا فقد اضطررت لاستصدار أمر من النائب العام ، لإزالة صبغة شعرك ، ونزع هذه العدسات الزرقاء من فوق عينيك ، حتى يمكننا تقديمك فى عرض عام ، أمام السيّدة التى اتهمتك بالسطو على منزلها والاعتداء عليها بالضرب .

أدرك (أدهم) على الفور طبيعة الفخ الذى أعدّ له ، وشعر بالغضب ؛ لأنه لم يبادر بالفرار من رجال الشرطة منذ البداية ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يسأل المفتش فى هدوء :

ــ هل لى أن أعرف اسم السيّدة على الأقل ؟

أجابه المفتش (جان) فى هدوء :

ــ بالطبع .. إنها تدعى مدموازيل (فرانسوا) .

(برجيت فرانسوا) .

* * *

١٠ ــ الشَّـك ..

استمع وزير الدفاع المصرى إلى مدير المخابرات العامّة فى صبر وهدوء ، حتى انتهى من شرح ما لديه ، ثم مال نحوه ، ليسأله بنفس الهدوء :

ـ هل تعلم كم من أبناء مصر يتخرجون من الكليات العسكرية ، فى كل عام ؟

أجابه مدير المخابرات فى هدوء مماثل :

ـ كثيرون .

أومأ وزير الدفاع برأسه ، قبل أن يعود فيسأله :

ـ وكم منهم يصل إلى رتبة اللواء ؟

تنهّد مدير المخابرات ، قبل أن يجيب :

ـ أقلّ من العشرة .

عاد وزير الدفاع يستند بظهره إلى مقعده ، وهو يشبّك أصابع كفّيه أمام وجهه ، قائلًا :

ـ هل تعلم ما الذى يَعْنِيه ذلك ؟.. إنه يَعْنِى ببساطة أن

الوصول إلى رتبة اللواء يحتاج إلى إجراء تحرّيات واسعة حول الشخص المرشح لهذه الرتبة ، وأنه ينبغى أن يكون محل ثقة لا تقبل الشّك ، وكفاءة نادرة فى مجال عمله .. ولم يحدث فى تاريخ مصر كلها ، بل فى تاريخ العالم أجمع ، أن اتُّهِمَ شخص يحمل هذه الرتبة بالتجسُّس .. ثم إننا نُولى عناية خاصة للتحرّى عن العاملين فى قطاع التصنيع الحربى ، نظرًا لما يحويه من أسرار صناعيّة عسكريّة خطيرة .. ولقد خضع اللواء (حسن الغندور) ، الذى تتهمه بهذه التُّهمة البشعة ، لتحرّيات واسعة مكثّفة ، قبل أن يتبوّأ منصبه فى هيئة التصنيع الحربى ، وهذا يَعْنِى أنه ليس موضعًا لأدنى شك .

تنحنح مدير المخابرات ، وقال وهو يعلم مدى دقّة وصعوبة موقفه :

ـ إننا لم نتّهمه بعد يا سيادة الوزير ، ولكننى أقول إن ما حدث فى الحفل يجعله موضع شك ، ولسنا نطلب سوى الإذن بمراقبته سرًّا .

عقد وزير الدفاع حاجبيه مفكّرًا ومستاءً ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ ولكن هذا الأمر يخصّ المخابرات الحربية ، لا العامة .



برقت عينا (سونيا جراهام) فى مزيج من الظفر والشراسة ، وهى تهتف :
ـ إذن فقد سقط (أدهم صبرى) فى قبضة الشرطة ..

قال مدير المخابرات :
ـ لا فارق يا سيدى .. المهم أن يوضع تحت المراقبة لفترة ما ، فكلنا نعمل لصالح مصر وحدها .
عاد وزير الدفاع إلى تفكيره طويلًا ، ثم قال فى لهجة رجل حسم أمرًا يستحق الحسم :
ـ فليكن .. إنها عمليتكم منذ البداية ، ولن تنتزعها منكم المخابرات الحربيّة الآن .. سأمنحكم الإذن بمراقبته ، ولكنكم ستدينون بالاعتذار للرجل ، لو ثبت أنكم كنتم على خطإ ..
تنهّد مدير المخابرات فى ارتياح ، وهو يقول فى سرعة :
ـ سنفعل يا سيادة الوزير .. ثق أننا سنفعل .

* * *

برقت عينا (سونيا جراهام) فى مزيج من الظَّفَر والشراسة ، وهى تهتف :
ـ إذن فقد سقط (أدهم صبرى) فى قبضة الشرطة .. رائع .. لقد نجحت خطّتنا يا (مارسيل) .
ابتسم (مارسيل بيكر) فى زهو ، وهو يقول :
ـ (مارسيل بيكر) ينجح دائمًا يا عزيزتى (برجيت) ، ووسيلتى المفضّلة هى أن أجعل الخصم يتصوّر

نفسه دائمًا فى موقف الفائز ، حتى يمكننى اجتذابه ــ دون أن يشعر ــ إلى الفخ الذى أعدّه له .

عاد القلق ينتاب (سونيا) ، وهى تقول :

ــ ولكن ماذا لو أنه نجح فى الفرار ؟

ثم أسرعت تستدرك قبل أن يعترض (مارسيل) :

ــ لقد رأيت بنفسك كم هو شيطان .

ابتسم (مارسيل) ، ولوّح بكفّه فى حركة أنيقة ، وهو يقول :

ــ اطمئنى يا عزيزتى (برجيت) .. إن سرّ نجاحى فى تزعّم كل رجل عصابات فى (فرنسا) ، هو أننى لا أهمل تفصيلًا واحدًا ، ولا أترك شيئًا للظروف .. هل رأيت كيف جعلت (أدهم صبرى) هذا يطاردنى ، دون أن يتصوّر أن هروبى نفسه لخطّة مدروسة ، كنت أضعها فى بند الخطط الاحتياطية ، فى حالة نجاته من رصاصات رجالى ؟.. لقد أبلغ (مجهول) الشرطة بأنه هناك ، وبأنه متنكّر .. لقد حسبت حساب كل شىء يا عزيزتى .

سألته فى فضول واهتمام :

ــ وماذا أعددت لمنعه من الفرار ؟

ضحك فى ثقة ، قبل أن يقول :

ــ إنهم فى كل أقسام الشرطة فى (فرنسا) يقدّمون القهوة صباحًا ومساءً للمقبوض عليهم ، وكذلك فى السجون .. ولقد تناول صديقك (أدهم) قدح القهوة الخاص به منذ لحظات ، دون أن يدرى أنه يحوى مخدّرًا من نوع خاص ، يجعل انفعالاته ، وردود أفعاله بطيئة ، تستحق الشفقة ، حتى أنه لن ينجح فى لكم رجل واحد ، أو حتى إعداد خطّة مُحْكمة للفرار .

سألته فى حنق :

ــ ولماذا لم تأمر بدسّ السُّمّ له مباشرةً ، حتى تنتهى منه بسرعة ؟

أطلق ضحكة ساخرة ، جعلته أشبه بوحش مفترس ، قبل أن يغمغم فى تلذّذ :

ــ لعبة القط والفأر يا عزيزتى (برجيت) .. إننى أعشق هذه اللُّعبة .. هل تعلمين ماذا يفعل القط ، حينما يقتنص فأرًا ؟.. إنه يبقيه حيًّا لأطول فترة ممكنة ، فيمنحه أكثر من فرصة للفرار ، ثم ينقض عليه فى اللحظة الأخيرة ، ويعيده إلى قبضته ، ويواصل ذلك حتى يصيبه الملل فيفترسه .

قالت فى حدّة :

ــ ومتى تنوى أن تصاب بالملل ؟

هزّ كتفيه ، وهو يقول فى لامبالاة :

ــ هذا يتوقّف على براعة صديقك فى اللُّعبة يا عزيزتى .

قالت فى عصبيّة :

— حسنا .. وماذا تنوى أن تفعل حينما تملّ اللعبة ؟
ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :
— ستذهبين أنت صباح غد ، لتعرّفه فى عرض عام ، وعندئذ سيُدان فى حادث السّطو ، والإجراء الطبيعىّ فى هذه الحالة هو أن يذهب إلى السجن ، فى انتظار محاكمته .. وهناك سترْتكبُ جريمة قتل ، وسيُتّهم فيها شيطانك المصرى ، الذى سيواظب رجالى على دسّ المخدّر له فى السّجن ، وسيُدان فى جريمة القتل أيضًا بشهادة الشهود ، من المساجين وحُرّاس السجن .
سألته فى شغف :
— وماذا سيحدث عندئذ ؟
تطلّع إليها بعينين ساخرتين ، وهو يقول :
— ألا تعلمين القوانين الفرنسيّة يا عزيزتى (برجيت) .. إن النهاية الحتمية لرجل مُدان بالقتل العمد هنا هى .....
ومرّر سبّابته على عنقه ، قبل أن يردف فى تلذّذ :
— المِقْصلة(*) ..

* * *

(*) المقصلة : آلة إعدام فرنسية ، شاع استخدامها إبّان الثورة الفرنسية ، تعتمد على وضع رقبة المحكوم عليه فى تجويف خاصّ ، حيث يهبط نصل حاد لبترها ، ومازالت تستخدم لتنفيذ أحكام الإعدام فى (فرنسا) ، حتى الوقت الحالى .

شعر (أدهم) بالحَيْرة والارتباك ، لأوّل مرّة فى حياته ، وهم يقودونه إلى قاعة العرض العام ، مع خمسة رجال آخرين ، فقد وجد نفسه ، ولأوّل مرّة أيضًا ، عاجزًا عن ترتيب أفكاره ، أو تنسيقها ، كما لو أنه يُعانى من إرهاق عنيف ..
صحيح أنه لم يَذُق طعم النوم منذ أكثر من يومين ونصف ، ولكنها ليست أوّل مرّة يفعل فيها ذلك ، فما باله يشعر وكأن العمر قد تقدّم به عشرات الأعوام ، فصار عجوزًا منهكًا ، ينقل قدميه ويحرّك ذراعيه فى صعوبة !!
لقد جعله هذا يبدو خائفًا مستسلمًا ، بخلاف عادته ، وهو يقف وسط طابور العرض ، على عكس (سونيا) ، التى تألّقت عيناها فى شماتة ، وهى تتطلّع إليه من خلف حاجز زجاجى مزدوج ، يسمح لها برؤية طابور العرض ، دون أن يراها أحد الواقفين فيه ، ولقد بدت شديدة الحماس والانفعال ، وهى تشير إليه قائلة دون تردّد :
— ها هو ذا .
سألها المفتش (جان) فى اهتمام :
— أأنت واثقة يا سيّدتى ؟
أجابته فى حماس :

— تمام الثقة .

تأمّل جاهدًا الفنان لحظة ، ثم قال فى هدوء :

— كنت واثقًا من أنه الرجل المنشود ، فلم يكن هناك مبرّر آخر لصباغة شعره ، وإضافة عدسات ملوّنة إلى عينيه .

كانت (سونيا) تعلم الجواب ، إلّا أنها سألته فى لهجة مستكينة :

— ماذا ستفعلون به ؟

هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— سيذهب إلى السّجن ، حتى جلسة محاكمته .

سألته فى اهتمام حقيقى :

— متى ؟

هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— بعد شهر تقريبًا .

ابتسمت فى ارتياح ، فشهر يكفى ليصاب (مارسيل) بالملل من لُعبة القط والفأر هذه ، وعندئذ تأتى النهاية ..

لم يعُد أمام (أدهم صبرى) سوى شهر واحد ..

شهر يُضحىَ بعده اسم (رجل المستحيل) ..

* * *

١١ ــ لُعبة القط والفأر ..

كانت (منى) شديدة العصبيّة ، وهى تعاون الملحق الطبّىّ للسّفارة المصرية فى (باريس) ، فى تغيير الضمادات التى تحيط بكتف النقيب (وليد) ، بعد أن انتزع منه الملحق الطبّىّ الرصاصة ، التى أصابه بها رجال (مارسيل)، ولاحظ (وليد) عصبيّتها وقلقها ، فابتسم ليبعث فى قلبها بعض الطمأنينة ، وهو يقول :

— اطمئنى أيّتها الزميلة .. سيعود سيادة المقدّم ظافرًا بإذن الله .

تنهّدت وهى تقول :

— ولكن أينَ هو ؟.. لقد اختفى تمامًا منذ غادر شقتك الأخرى مساء أمس ، متعقّبًا ذلك الوغد (مارسيل) .

ربّت الملحق الطبّىّ على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

— ربّما لا يعلم عنوان هذا المنزل الاحتياطىّ يا بنيّتى ، فلا تنسىْ أنكما اضطررتما ، أنت و(وليد) ، إلى ترك الشقة الأخرى ، بعد أن حدث فيها ما حدث .

همست فى لهجة شفّت عن كل ما يحتمل فى أعماقها من قلق :

ـ محال يا سيّدى .. إن (أدهم) يحفظ عن ظهر قلب ، كل العناوين الخاصة بنا ، فى جميع أنحاء العالم ، ولو أنه انتهى من مهمته بنجاح ، لكان بيننا الآن .

تبادل (وليد) والملحق الطبىّ نظرة ، تؤكد أن قلقها قد انتقل إليهما ، قبل أن يغمغم (وليد) :

ـ لقد انطلق كل رجالنا يتلمّسون أخباره يا (منى) ، ولن يلبث أحدهم أن يعود حاملًا ما يطمئننا بإذن الله .

غمغمت فى لهجة قلقة :

ـ إننى أحلُم بذلك .

ثم اتجهت إلى النافذة ، وتطلّعت منها إلى (باريس) ، قبل أن تردف فى ألم ومرارة :

ـ قلبى يحدّثنى أنه يواجه خطرًا بالغًا فى هذه المدينة ، التى بتّ أمقتها كما لم أمقت مكانًا من قبل .. ولكن أين هو ؟.. أين ؟

* * *

أغلق (أدهم) عينيه ، داخل سيارة الشرطة التى تقوده إلى سجن (باريس) ، وحاول أن يركّز أفكاره ليعلم ماذا أصابه ،

ولكن عقله كان مشوّشًا على نحو لم يعهده فى نفسه من قبل ، وبدا له جسده واهنًا ضعيفًا ، حتى كاد يفقد الثقة بنفسه وقدراته ..

كان يشعر برغبة قويّة فى النوم ، حتى بات يحلُم بالوصول إلى السجن ، ليلقى جسده فوق الفراش الذى يقدّمونه إليه ، أيًّا كان ، ويستسلم لنعاس طويل ، علّ هذا يعيد إليه نشاطه وحيويته ، بعد أن فشل قدح القهوة الذى تناوله فى الصباح فى إنعاشه ..

وكان عقله المشوّش المضطرب عاجزًا عن الربط بين قدح القهوة ، وذلك الضعف والتخاذل الذى يصيبه بعده ..

كان (رجل المستحيل) يعانى لأوّل مرّة فى حياته ، الاضطراب ، والعجز ، والضعف ..

ووصلت السيارة إلى السجن ، وهبط منها مع ثلاثة من المساجين الآخرين ، وبدا شاحبًا مريضًا ، وهم يلتقطون صورته ، لتوضع فى ملفه الخاص ، وتناول حُلّة السجن الرمادية فى استسلام عجيب ، ثم ترك حارسه الصارم يقوده إلى زنزانته ..

وكانت الزنزانة تضمّ ثلاثة آخرين ، تطلّعوا إليه فى برود ،

حينما دفعه حارسه إلى الداخل ، وأغلق الباب الفولاذى خلفه ، ثم نهض أضخمهم حجمًا ، وتقدّم نحوه ، قائلًا فى صرامة :

— إنها أوّل مرّة تسجن فيها .. أليس كذلك ؟

كان يتحدّث بطريقة وقحة فجّة ، جعلت (أدهم) يتمنّى أن يلكمه فى أنفه ، ولكن الضعف والوهن اللّذين يشعر بهما فى جسده ، جعلاه يكتفى بالتطلّع إلى وجهه فى تحدّ ، ويقول فى هدوء :

— ليس هذا من شأنك .

افترّ ثغر الرجل عن ابتسامة شرسة ، كشفت عن صفّين من الأسنان الصفراء غير المنتظمة ، وهو يقول :

— ليس هذا من شأنى ؟!.. هذا يوضح أنها أوّل مرّة بالفعل ، فأنت تجهل من هو (شارل) .

حاول (أدهم) أن يجيبه بعبارة ساخرة ، إلّا أن كل ما نجح فيه هو أن يغمغم :

— ومن هو (شارل) ؟

لكزه الرجل فى كتفه لكزة قويّة ، وهو يقول فى شراسة :

— ألم تعلم بعد ؟

لم تكن لكزة ذلك الرجل ، على الرغم من قوّته وضخامته ، يمكنها أن تزحزح (أدهم) قيد أنمُلة فيما مضى ، إلّا أنه فوجئ بها تلقيه أرضًا ، وكأنما أصاب الوهن جسده حتى النخاع ، فانتابه مزيج من الدهشة والحنق ، وغمغم وهو ينهض فى صعوبة :

— اسمع يا هذا .. إننى أكاد أسقط نائمًا ، فلم أذق طعم النوم منذ ثلاثة أيام .. اتركنى أنعم به أوّلًا ، وسنؤجّل الدرس لما بعد .

عاد (شارل) يبتسم تلك الابتسامة الوحشية ، وهو يقول :

— ليس قبل أن تعترف بأن (شارل) هو زعيمك .

كاد عناد (أدهم) الغريزىّ ، واعتداده الشديد بنفسه ، يدفعانه لمهاجمة (شارل) ، على الرغم من كل ما يشعر به من وهن وضعف ، إلّا أن بقايا التفكير الحكيم فى عقله ، جعلته يحسن تقدير الأمر ، ويعلم أن معركته مع (شارل) لن تعنى إلّا هزيمته ..

وكان يرفض الهزيمة فى قتال ..

أى قتال ..

لم تكن لكمة ذلك الرجل ، على الرغم من قوّته وضخامته ، يمكنها أن تزحزح (أدهم) قيد أنملة فيما مضى ، إلّا أنه فوجئ بها تلقيه أرضًا ..

ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يلوّح بكفّه ، قائلًا في ضجر :

ــ حسنًا .. هل تسمح لي بالنوم أيها الزعيم (شارل) ؟

تألّقت عينا (شارل) في ظَفَر ، وانتحى جانبًا ، وهو يشير إلى فراش مهمل في ركن الزنزانة ، قائلًا في ازدراء :

ــ اذهب إلى هذا الفراش .

تجاهل (أدهم) لهجته المقيتة ، واتجه إلى الفراش ، وألقى جسده فوقه ، دون أن يُعْنَى بترتيبه ، وأغلق عينيه ، وقد أصبح كل هدفه ــ في هذه اللحظة ــ هو النوم ..

النوم وحده ..

* * *



١٢ — جريمة قتل ..

عَبَرَ الجاسوس ، الذى ينتحل شخصية اللواء (حسن الغندور) ، ردهات هيئة التصنيع الحربى فى خطوات واثقة ، كما لو أنه قد درس المكان دراسة وافية ، واتجه إلى مكتب اللواء (حسن) ، وعَبَره فى خطوات واسعة ، وهو يجيب التحية العسكرية ، التى أدّاها المقدّم الشاب ، الذى يتولّى منصب مدير مكتبه ، والذى لحق به إلى حجرته ، وهو يحمل بعض الأوراق ، قائلاً :

— لقد انتهيت من التقرير الذى طلبته يا سيادة اللواء .

التقط الجاسوس الأوراق التى قدّمها له المقدّم ، وألقى عليها نظرة سريعة ، ثم أعادها إليه ، وهو يقول :

— عظيم .. سأفحصها فيما بعد .

رفع المقدّم حاجبيه فى دهشة ، فقد كان يدرك تمامًا ، بعد ثلاث سنوات من العمل مع اللواء (حسن) ، أنه رجل شديد التدقيق فى مثل هذه الأمور ، وأنه لا يترك ورقة واحدة دون أن يقرأها ، ويراجعها فى عناية بالغة ، فعاد يقول :

— لقد أجريت التعديلات التى طلبتها فى التقرير يا سيّدى .

لم يزِد الجاسوس على أن غمغم فى ضجر :

— هذا عظيم .

مرّة أخرى شعر المقدّم الشاب بالدهشة ، ولكنه أرجع عدم اهتمام اللواء (حسن) بمراجعة التعديلات ، إلى أمر آخر يشغله ، ولقد خُيِّل إليه أنه محق ، حينما سأله الجاسوس فى اهتمام :

— هل انتهى الخبراء من تصميم التعديلات الجديدة ، التى سنجريها فى الـ (تايجر شارك) ؟

أجابه المقدّم فى حَيْرة :

— نعم يا سيادة اللواء .. لقد انتهوا منها ، ولقد أطلعت سيادتك عليها منذ يومين .

قال الجاسوس فى صرامة :

— لا بأس من رؤيتها مرّة أخرى .

هزّ المقدّم كتفيه ، وهو يقول :

— كما تأمر يا سيّدى .. سأطلب إحضارها على الفور .

ثم أدّى التحية ، وأسرع ينفّذ الأمر ، فى حين ابتسم الجاسوس ، وهو يشعر بالبهجة فى أعماق نفسه ، فقد بات قاب قوسين أو أدنى من تحقيق هدفه الرئيسى ، والحصول على التصميمات ..

وخامره فجأة شعور بالقلق ، وخشى أن يثير تسرعه الشك ؛ لأنه بادر بطلب رؤية التصميمات ، فور وصوله إلى مكتب الذى ينتحل شخصيته ، لأوّل مرّة ، ولكنه لم يلبث أن تذكّر أنه من المستحيل أن يكشف مخلوق واحد أمره ، بعد تلك العملية الجراحية الرائعة ، والتدريبات المكثفة ، التى جعلته صورة طبق الأصل من اللواء (حسن الغندور) . فاستعاد هدوءه ، وجلس ينتظر فى صبر ، حتى عاد إليه المقدّم ، وهو يصحب أحد خبراء الطيران ، الذى قدّم له عدة أوراق كبيرة ، ملتفّة حول بعضها فى شكل أسطوانى ، وهو يقول فى احترام :

— التصميمات التى طلبتها يا سيادة اللواء ..

* * *

استعاد (أدهم) الجزء الأكبر من نشاطه وحيويّته ، وقدرته على التفكير ، بعد أن استغرق فى نوم عميق لعشر ساعات كاملة ، ولكنه ظلّ راقدًا فى فراشه يفكّر فى خطورة ودقّة موقفه ، بعد أن أصبح سجينًا فى سجن (باريس) ، بتهمتى سطو واعتداء ، وأحنقه أن (سونيا جراهام) قد نجحت هذه المرّة ، بمساعدة (مارسيل بيكر) ، ملك العصابات ،

فى إحكام الحصار حوله ، ووضعه فى هذا الموقف العسير ، ولكن استعادة نشاطه جعلته يستعيد صلابته وعناده ، وهدوءه فى أعقد المواقف ، فأخذ يحاول دراسة الأمر فى رويّة ، حتى وجد (شارل) عند رأسه ، يقول فى خشونة :

— انهض .. إننى لا أسمح بنوم أحد بعد أن أستيقظ أنا ، وأنا أستيقظ مبكّرًا

استعاد عقل (أدهم) موقفه السابق مع (شارل) ، وامتلأت عروقه بالغضب ، فقال له فى صرامة :

— اُغرُبْ عن وجهى أيها الثور القبيح ، وإلّا حوّلتك إلى كُومَة من النُّفايات ، تأنف الخنازير نفسُها من الاقتراب منها .

اتسعت عينا (شارل) ، وصاح فى غضب أحاله إلى وحش كاسر :

— كيف تجرؤ أيها الـ .....؟

وفجأة .. قفز (أدهم) من فراشه ، وجذب (شارل) إليه بقبضته اليسرى ، ثم كال له لكمة كالقنبلة بيمناه ، تحطّم لها أنفه ، فصرخ فى ألم وثورة :

— أيها الحقير .. كيف تفعل هذا بشا .....؟

لم يترك له (أدهم) فرصة إتمام عبارته ، فقد هوى على



فقد هوى على فكّه بلكمة كالصاعقة ، حطّمت كل أسنان (شارل) الأماميّة ، وملأت فمه بالدّماء ، وهو يهوى فاقد الوعى ..

فكّه بلكمة كالصاعقة ، حطّمت كل أسنان (شارل) الأماميّة ، وملأت فمه بالدّماء ، وهو يهوى فاقد الوعى ، فى حين تطلّع المسجونان الآخران إلى (أدهم) فى رُعب وذُهول ، فى نفس اللحظة التى فتح فيها الحارس باب الزنزانة ، وهو يقول :

— هيّا أيها الأوغاد .. لقد حان موعد وجبة الإفطار و .....

وبتر عبارته فجأة ، حينما وقع بصره على (شارل) ، الذى تمدّد فى أرضية الزنزانة فاقد الوَعْي ، والدّماء تغطى نصف وجهه ، فهتف فى دهشة :

— يا للشيطان !!.. من فعل هذا بـ(شارل) ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ساخر :

— لا أحد .. يبدو أنه مصاب بداء السير فى أثناء النوم ، ولا ريب أنه كان يحلُم بعودته إلى أصله ، كثور قبيح ، فارتطم بالحائط ، وهو يظن أنه يناطح واحدًا من أقرانه .

حدّق الحارس فى وجه (أدهم) بذهول ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وكأنما أسعده أن يأتى سجين جديد لينتزع الزعامة من (شارل) ، وتحوّلت لهجته إلى لهجة مَرِحة ، وهو يقول :

— نعم .. يبدو أن هذا هو ما حدث .. والآن هيا لتناول وجبة الإفطار .

* * *

لم يكف (أدهم) عن التفكير فى سرّ ما أصابه من وهن وضعف ، وهو يتناول قدح القهوة ، الذى قدّمه له السجين المسئول عن وجبات الطعام ، وأخذ يرتشف القهوة فى بطء وهدوء ، وهو يتساءل عن سرّ ذلك الشعور الذى لم ينتبه أبدًا من قبل ..

وفجأة .. انتبه إلى مذاق القهوة المختلف ..

انتبه إليه وهو يرتشف آخر قطراتها من قدحه ..

وأخذ عقله يعمل فى سرعة ..

إنها القهوة ..

نعم .. إنها هى ..

إنهم يدسّون له شيئًا ما فى أقداح القهوة ، فهو لم يتناول سواها فى قسم الشرطة ..

ودون أن يدرى ، غمغم فى صوت مسموع :

— نعم .. إنها القهوة .

وانتابه الحنق عندما شعر بذلك الضعف يتسلّل إلى عروقه

وعضلاته ، وأدرك أن مفعول ذلك الشىء الذى يدسّونه فى قهوته سريع قوىّ ، وقرّر ألا يتناول جرعة واحدة من القهوة بعد تلك اللحظة ، ولكنه لم يدرك أن العبارة ، التى غمغم بها فى صوت مسموع ، قد جعلت السجين المسئول عن وجبات الطعام يتبادل نظرة خاصّة مع حارس قاعة الطعام ، الذى غادر موقعه على الفور ، واتجه إلى حجرة قريبة ، التقط سمّاعة الهاتف الموضوع بها ، وطلب رقمًا خاصًّا ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه ، حتى قال فى توتّر :

— لقد كشف الرجل الخُدعة يا مسيو (مارسيل) ، وأدرك أن القهوة هى التى تفعل به كل هذا .. ماذا نفعل يا مسيو (مارسيل) ؟

وعقد حاجبيه ، وهو يستمع إلى أوامر (مارسيل بيكر) فى اهتمام ، ولحق به السجين المسئول عن وجبات الطعام ، وهو يعيد السمّاعة إلى موضعها ، وسأله فى همس وقلق :

— هل أخبرت مسيو (مارسيل) بالأمر ؟

أومأ الحارس برأسه إيجابًا ، وهو يعقد حاجبيه فى صرامة ، فعاد السجين يسأله :

— وبِمَ أمر ؟

تطلّع إليه الحارس لحظة فى صمت ، ثم أجاب فى صوت صارم جاف :

ــ لقد أمر بأن ينتهى كل شىء ، قبل أن يذهب أثر قدح القهوة ، ويستعيد الرجل قوته وقدراته .

تألقت عينا السجين فى جذل شرس ، وقال وكأنه يستمتع بكل حرف من حروف كلماته :

ــ هل تعنى أننا ......؟

قاطعه الحارس فى صرامة :

ــ نعم .. لابدّ أن يلقى ذلك المصرىّ مصرعه اليوم .. وقبل مغيب الشمس .

لقد أصدر ملك العصابات أوامره ، بقتل (رجــــل المستحيل) ..

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث والأخير

[الجاســـــوس]

رقم الإيداع : ٣٦١٩